نحو إعادة كتابة تاريخ الجزائر القديم

د. مضوي خالدية
أستاذة التاريخ القديم قسم العلوم الإنسانية – جامعة معسكر-

تاريخ الإرسال 2018-05-07
تاريخ القبول: 2019-05-17

الملخص الإنجليزي:

The researcher specialized in the Algerian ancient history especially and the history of the ancient Maghreb in general, is still suffering when dealing with the colonial historiography, because we inherited from the colonial period a set of researches in ancient history, and it is obvious that the interpretations of most of these researches- not all of them- inspired from the era in which they were written. So they included – as any production- the wheat and the chaff, even specialists recognize their documentary value, and that we are obliged to deal with them – and also with the new publications- in a critical spirit, but without tenses nor advanced exclusion, the aim- of course - is to transcend them scientifically in order to promote national research to a level of rigidity and objectivity, imposing itself on The scientific arena, and at the same time enriching the Arab corpus, thereby enriching the Arab reader little by little about theses colonial thesis.

This article aims at reflecting on the creation of a general vision to rewrite the history of Algeria in the past, far away from any prejudices that prevailed during the colonial period. To attain this aim and write an integrated history, we have to take in consideration the internal impacts (local ones), and not only from external impacts as researches did in the past. It is also compulsory to reproduce the problematic and questions, transcending the stereotypes especially those related to the antiquity and the appearance of writing , the concept of space and time of ancient history, the origin of Algeria's old population, the origin of Neolithic civilization, the emergence of cities and other questions, and before all, we have to make pause to discover why are the Western historians in general -and French in particular- interested in the history of Algeria and their method in its study.

الكلمات المفتاحية:

ancient history, Neolithic civilization, colonial period, colonial historiography, the emergence of cities, the origin of Algeria's old population, history of Algeria, rewrite the history of Algeria in the past, the problematic.

مقدمة :

لايزال الباحث المختص في تاريخ الجزائر القديم خصوصا وتاريخ بلاد المغرب القديم عموما، يعاني في تعامله مع الإسطوغرافية الاستعمارية، ذلك أننا ورثنا عن الحقبة الكولونيالية ركاما من الأبحاث في التاريخ القديم، ومن البديهي أن معظمه لا كله انطبع بتأويلات تنم عن روح العصر الذي كتب فيه، كما أنه كأي إنتاج آخر تضمن الغث والسمين، وإذا كان المختصون متفقين على أنه ذو قيمة وثائقية، وأنه لا مناص من التعامل معه -ومع ما يصدر الآن أيضا- بروح نقدية، ولكن بدون تشنج، ولا إقصاء مسبق، فإن الهدف - طبعا - هو تجاوزه علميا قصد الرقي بالبحث الوطني إلى مستوى رصين، بفرض نفسه على الساحة العلمية، وفي ذات الوقت إثراء الخزانة العربية بما يغني القارئ العربي شيئا فشيئا عن أطروحات استعمارية متجاوزة....."(1).

يروم هذا المقال إلى التفكير في إعداد تصور عام لإعادة كتابة تاريخ الجزائر في القديم بطريقة تبعده عن كل تحامل كالذي ساده خلال الفترة الاستعمارية، ولتحقيق ذلك وكتابة تاريخ متكامل، لا بد من مراعاة التأثيرات الداخلية أي المحلية، ولا نكتب التاريخ انطلاقا من التأثيرات الخارجية فقط كما كان معمولا به في السابق، كما لابد من إعادة صياغة الإشكالات وتجاوز تلك التي أصبحت بمثابة مسلمات وبخاصة ما يتعلق بمفهوم مجال وزمان التاريخ الجزائري القديم ، وأصل ساكنة الجزائر في القديم، وأصل الحضارة النيوليتية ونشأة المدن وبداية الفترة القديمة وغيرها من الإشكاليات ، وقبل هذا وذاك لابد لنا من وقفة نتعرف من خلالها على دواعي اهتمام المؤرخين الغربيين عموما والفرنسيين منهم على وجه الخصوص بتاريخ الجزائر القديم ومنهاجهم في دراسته.

أولا – أسباب ودوافع اهتمام المؤرخين الفرنسيين بدراسة تاريخ الجزائر القديم:

لا يحتاج الباحث المختص إلى كثير من العناء ليقف على الأسباب الذاتية الخفية وغير المعلنة لمعظم الباحثين الفرنسيين الذين أولوا اهتماما كبيرا بتاريخ الجزائر في القديم خلال لحقبة الكولونيالية كجزء من انشغالاتهم بتاريخ بلاد المغرب القديم في محاولة لكتابة تاريخ لا يخدم إلا المصلحة الاستعمارية، إذ عبر شيخ المؤرخين الفرنسيين "ستيفان غزال– St.Gsell " عن هذا الانشغال أفضل تعبير بمناسبة مرور مائة سنة على احتلال الجزائر عندما قال ".. إن الحملة على مدينة الجزائر المتبوعة بفتح التراب الجزائري قدمت للمؤرخين مهام جديدة، بل فرضته عليهم " ، وأفصح غزال أكثر فقال " إن معرفة الماضي ضرورية جدا لمتطلبات الحاضر " ، ويقول أيضا " إن التاريخ يحدد لنا واجباتنا في الجزائر"(2). فماهي الواجبات التي يعنيها غزال؟

يعتقد المؤرخ الجزائري "محمد الشبر شنيتي" بهذا الخصوص، أن هذه الأقوال، تعبر عن الإرادة في قراءة تاريخ الجزائر بعيون فرنسية وتفسيره بما يناسب الحاضر الفرنسي ويخدمه، كما أن ماضي الرومان بالجزائر –بنظره- يقدم العبرة للفرنسيين ويرشدهم إلى تجنب الأخطاء التي وقعت فيها المؤسسات الرومانية في بلاد المغرب، إذ أنه لم يتوان عن التعبير عن أسفه الشديد للخطأ الكبير الذي وقعت فيه الكنيسة الإفريقية لأنها لم تستغل الظروف المواتية لتوسيع الخريطة المسيحية في البلاد ، ولم تعمل على ترسيخ هذا الدين في قلوب السكان كما فعل الإسلام فيما بعد ، وكرر أسفه في كون الكنيسة الإفريقية لم تعمق نفوذها في الريف، ولم تتغلغل في الأوساط الشعبية من أجل إكمال الوحدة الدينية واللغوية - ممثلة في المسيحية واللاتينية بطبيعة الحال - وتمتينها بصورة لا يمكن فصمها، كما أنه وضح أنه لا يمكن للفرنسيين أن يكونوا أسياد في كل مكان إلا إذا أخضعوا أرياف الجزائر لاستيطان أوروبي كثيف، وهي تجربة نجح فيها الرومان في هذه البلاد لو أنهم أكملوها بالتقرب من السكان، هذا التقرب الذي اقترحه على الفرنسيين اقتداء بتجربة العرب الذين اعتمدوا على المجتمع الريفي في غرس دينهم ولغتهم على(3).

لقد عبر " غزال" بهذه الجمل بدقة عن أهداف استراتيجية غاية في الأهمية والخطورة بالنسبة لإيديولوجية الاستعمار، ودعا المؤرخين الفرنسيين لأن يجعلوها منطلقا أساسيا للأبحاث التاريخية المتعلقة بماضي الجزائر الفرنسية، فالوجود الفرنسي يجب أن يستمر، ولكي يكتسب صفة الديمومة عليه أن يستفيد من تجارب المتعاقبين على حكم البلاد ، هذا التعاقب الذي يحمل نفيا قاطعا ، في نظر المؤرخين ، للكيان الجزائري عبر التاريخ ، فتاريخ الجزائر السياسي، تاريخ أنظمة أجنبية متتالية في نظرهم(4).

ثانيا – منهج المدرسة الاستعمارية في كتابة تاريخ الجزائر القديم:

يصعب علينا الجمع بين كل الباحثين الفرنسيين للتاريخ القديم للجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي في بوتقة واحدة وزعم أن منهجهم كان واحداً في كل الأزمان والأوقات وفي كل الموضوعات التي

تناولوها، ولكن تسهيلاً لهذا الأمر فيمكن إجمال هذه المناهج التي يشترك فيها عدد كبير منهم في تناول تاريخ الجزائر القديم عموماً فيما يلي:

1- الانطلاق من التأثيرات الخارجية في كتابة تاريخ الجزائر القديم دون مراعاة التأثيرات الداخلية المحلية: و سنتطرق بهذا الخصوص لبعض النماذج من هذه الإشكاليات التي ظل الباحثون الفرنسيون يرددونها خلال الفترة الاستعمارية ولازالت متداولة إلى وقتنا الحاضر:

أ - أصل سكان الجزائر:

تجاهل المؤرخون الاستعماريون بهذا الخصوص الجذور المحلية لسكان الجزائر على غرار ساكنة بلاد المغرب واهتموا بالبحث عنها خارجها، حيث انقاد المختصون في فترة ما قبل التاريخ وفي مقدمتهم غبريال كامبس"G.Camps" وراء الفرضية القائلة بكونهم ينحدرون من أصول أوروبية إسبانية وصقلية، وراح يدافع عنها بإصرار معتمدا على التشابه الموجود في بعض المظاهر الجنائزية، بين سكان بلاد المغرب وجزر غرب البحر الأبيض المتوسط فيما يتعلق بطرق الدفن وأشكال القبور وبخاصة التلال والمصاطب، غير أن الشواهد المادية التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية بالصحراء الجزائرية، تؤكد بما لا يدع مجالا للشك على انتشار هذا النوع من المدافن بها (5) ، وتبقى الفكرة التي تؤمن بالأصل الأوربي لسكان الجزائر فرضيات أنتجتها عقلية وظرفية معينة، وقد تم تجاوزها الآن بعدما أكدت الدراسات الباليوانتروبولوجية "anthopropologiques Etudes" وجود حضارة الحصى "Plebbe culture" - الأكثر قدما من الشواهد السابقة الذكر المنسوبة لفجر التاريخ - في العديد من المواقع الجزائرية المنسوبة للعصر الحجري القديم الأسفل، هذه الحضارة التي تعد أقدم حضارة إنسانية وجدت حتى وقتنا الحاضر، وتعاصر إنسان الأوسترالوبيتكوس "Homo Australopithecus " الذي عثر علي بقاياه العظمية في شرق إفريقيا بشاد وأثيوبيا(6) ، إذ نشير بهذا الخصوص على سبيل المثال لا الحصر ، أنه عثر بأقدم طبقة أثرية بموقع (المنصورة) بقسنطينة على بقايا صناعات الحضارتين الشولية والأشولية اللتان تنسبان إلى العصر الحجري القديم الأسفل(7) ، كما عثر معها على بقايا عظمية لسلالات حيوانية ثدية لا تزال محفوظة بكلية العلوم بجامعة (الجزائر)، وكلية العلوم بجامعة (الرباط) وبمتحف (سيرتا) الوطني(8) ، غير أنه لم يكشف في مواقع هذا العصر على البقايا العظمية "للإنسان الأوسترالوبيتكوس - Homo Australopithecus" صانع الحضارة الشيلية، و"الإنسان المنصب-Homo Erectus" صاحب الحضارة الأشولية، غير أن انعدام هذه المخلفات لا ينفي وجود هذا الإنسان خاصة وأنه عثر على مخلفاته الصناعية مثلما سبق ذكره.

ب – ظهور الحضارة النيوليتية وأصولها:

من الإشكاليات الأخرى التي لازالت تطرح ، مسألة الحضارة النيوليتية وما يرتبط بها من أصول الزراعة واستئناس الحيوانات، والتي تريد الدراسات الاستعمارية أن تجعلها متأخرة بالجزائر، ظهرت بالمنطقة فقط بعد استيرادها من الشرق ومن الشمال دون تكلف عناء إعادة النظر في هذه الفكرة على ضوء ما يمكن استخلاصه من معلومات متعلقة بهذا الخصوص من المعطيات الأثرية(9) ، ذلك أن نظرة فاحصة على تقارير التنقيبات الأثرية الفرنسية التي أنجزت خلال الفترة الاستعمارية تدحض هذه الآراء ، فمثلا نستخلص من تقرير الأثري الفرنسي "دوبريج- A.DEbruges" حول مواقع ما قبل التاريخ لقسنطينة كل الأدلة المتصلة بهذا العصر، إذ عثر بثلاث مواقع بالمدينة بكل من (كهف الدببة) و(كهف العروي)، زيادة على موقع ثالث لم يكن مأهولا قبل هذا التاريخ، يقع في الناحية الشمالية الغربية لمنحدر(القصبة)، وهو(كهف الحمام) الذي تجمع كل الدراسات الحديثة على اتخاذه نموذجا للحضارة التي شاعت في هذا العصر، وقد كشفت هذه المواقع عن مختلف الأدوات التي كانت تستخدم في الإنتاج

الزراعي وبخاصة الأدوات الحجرية المصقولة التي استغلت في هذا المجال، وكذا على دلائل للاستئناس الحيوانات التي تدلنا عليها البقايا العظمية لبعض الحيوانات مثل الثور والماعز والخروف، والحمار والخنزير، ورغم أن إنسان هذه الحضارة كان يعتمد بشكل رئيسي على الزراعة، إلا أنه لم يقلع تماما عن الصيد، لاسيما وأنه عثر على بعض السهام، مما يرجح أنه قد مارس الصيد بجوار الزراعة وبخاصة صيد العروي والغزال مثلما تدلنا عليه مخلفاتهما العظمية(10) .

وشهد هذا العصر - أيضا- صناعة الفخار النموذجي الخشن ذو اللون الأحمر أو الوردي والقاعدة السوداء (بكهف الدببة) و(كهف العروي)، ثم ظهور الفخار المزين برسومات ذات أشكال نباتية وهندسية (بكهف الحمام)، هذا الفخار الذي يعتبر أكثر تطورا من سابقه، وهو ما ثبت من خلال إعداد عجينته وطريقة صنعه وتزينه(11) ، كما تدل مخلفات هذا العصر على تلك القدرات الفنية التي تظهر في القطع المصنوعة من قشور بيض النعام التي استعملت للزينة، ومما لاشك فيه أن صاحب هذه الحضارة قد تمكن-أيضا- من التعبير الفني عن مفاهيمه الدينية الأولى التي لازلنا نجهل مدلولاتها من خلال صناعته لتمائم مصنوعة من درق السلحفاة(12) .

ج - نشأة المدن وبداية التاريخ القديم:

إن بداية التاريخ القديم للمدن الجزائرية لايزال مجهولا، فإن دلت الأدوات الحجرية والبقايا العظمية الحيوانية والبشرية التي وجدت بها على وجود تجمعات بشرية بالمنطقة تعود إلى العصور الحجرية وفترة فجر التاريخ، فإننا سرعان ما نصدم بفراغ كبير في المادة التاريخية الفاصلة بين العصور الحجرية وفجر التاريخ ، وبداية الفترة التاريخية، هذا الفراغ الذي يمكن تفسيره باختفاء هذه التجمعات البشرية بقدر ما يعود إلى انعدام المصادر الأدبية الليبية والبونية، وإلى عدم اهتمام الكتاب القدامى الإغريق واللاتين بهذه المرحلة التاريخية الهامة من تاريخنا المحلي، بحيث أن الكتاب القدامى الذين كتبوا عن تاريخ ومدن (بلاد المغرب القديم)، اهتموا بالدرجة الأولى بالتاريخ للأحداث التي لها علاقة بالتاريخ الروماني(13).

أما بالنسبة للمصادر الأثرية، فالإشكالية المطروحة هي أن التنقيبات والحفريات الأولية التي تمت في خلال الفترة الاستعمارية، والتي كان يشرف عليها هواة و عسكريون ، موظفون ، وأثريون وغيرهم لم تشمل كل مواقع المدن الجزائرية، كما أن جلها انصبت على مواقع أصبحت معروفة لدى العام الخاص بكونها مواقع رومانية، كما أن هذه التنقيبات لم تراعي الشروط العلمية المعتمدة وكانت تفتقد للدقة، فساهمت في تهديم الأرضيات، وإتلاف الكثير من الطبقات والمستويات الأثرية التي تعود إلى ما قبل الرومانية، أو عدم التمييز بينها وبين الرومانية، كما لم يتم التأريخ لمحتويتها بطريقة مضبوطة، إضافة إلى الاستنتاجات الخاطئة التي كانت تؤدي غالبا إلى مغالطات علمية هذا من جهة(14) ، ومن جهة أخرى، إن التأريخ للآثار المحلية – إذا ما استثنينا الفخار المستورد، وبعض اللقى الأثرية كالنقوش والمسكوكات- لا يتوفر على عوامل مساعدة له، خاصة وأن الخزف المحلي لم يوضع له سجل حتى يومنا هذا يوضح كافة أشكاله، كما أنه لم يصنف تصنيفا كرونولوجيا حتى يصبح عنصرا مساعدا للتأريخ للطبقات الأثرية المحلية، ومنها مستويات التأسيس ونشأة المدن (15).

وسنعرض بخصوص هذا الموضوع بعض آراء المدرسة الاستعمارية وبخاصة ما يتعلق بنشأة مدينة قسنطينة، كيرتا قديما، عاصمة المملكة النوميدية على امتداد 159 عاما(205 -46 ق.م)، باعتبارها من أقدم الحواضر الجزائرية القديمة ، وذلك من خلال المؤرخ اندري "برثي-A.Berthier" الذي كان على إطلاع مباشر بمصادر مادية يعرفها معرفة جيدة، توفرت له ولم تتوفر لغيره، إذ لم يتوان هذا الباحث من خلال الفصل الرابع من مؤلفه " نوميديا روما والمغرب- La Numidie Rome et le Maghreb" الصادر في سنة 1981م، والذي حمل عنوان " قسنطينة، المدينة الفينيقية"، على التأكيد على الأصول الفينيقية (لكيرتا)، مستندا على نتائج التنقيبات التي توصل إليها، ومن خلال استقراءه للشواهد المادية المكتشفة بمختلف أحياء (قسنطينة) من مسكوكات، ونصب، وقطع فخارية، وكذا من خلال حمل سكانها

لأسماء بونية، واعتناقهم للمعبودات الفينيقية القرطاجية، وممارستهم لطقوسهم الجنائزية، واتباعهم للأنظمتهم الإدارية، إلى جانب تأكيده على تبعية ملوك المملكة الماسيلية ومدنها بما فيها (كيرتا) للدولة القرطاجية، هؤلاء الحكام الذين لم يتخلصوا من هذه التبعية، ولم يحرزوا على استقلاليتهم – بنظر هذا الباحث- إلا بعد مساعدة الرومان لملكهم "ماسينيسا- Massinissa" في معركة (كيرتا) سنة203 ق.م(16).

وهكذا نلاحظ، أن هذا الباحث قد ابتعد نوعا ما عن دراسات سابقيه من الباحثين الذين لم يتناولوا تاريخ (كيرتا) عاصمة المملكة النوميدية إلا من الزاوية السياسية العسكرية المرتبطة بأحداث الحرب البونية الثانية(218 – 201 ق.م)، غير أن عمله هذا كان بالضرورة وقبل كل شيء، تأريخا ينطلق من تفسير الأحداث بالتأثيرات الخارجية المتوسطية دون مراعاة دور المؤثرات الداخلية.

ونشير بخصوص هذا المؤلف، أنه على الرغم من الحجج التي يقدمها هذا الباحث الذي اعتمد على بعض المصادر المادية وتأويل بعض النقوش البونية، والبونية الحديثة، وعلى أسماء الأعلام، والأماكن ، إلا أنه لا يمكننا أن نشاطره في فرضيته التي ترجع نشأة المدينة إلى الفينيقيين، وكذا تبعية ملوك المملكة الماسيلية ومدنها بما فيها عاصمتها (كيرتا) للقرطاجيين حتى نهاية القرن الثالث ميلادي (سنة 203 ق.م)، كما أننا نختلف معه في وجهة نظره، التي تذهب إلى اعتبار المجتمع "الكيرتي" على غرار المجتمع "الماسيلي" ما هو إلا امتداد للمجتمع الفينيقي– القرطاجي في (قرطاجة)، وأن التطور والانتعاش الذي حققته (كيرتا)، إنما ارتبط باستمرار اضطلاع القرطاجيين بالشؤون الاقتصادية بهذه المدينة، ،لأن هذه الآراء تتنافي مع الحقائق التاريخية التي تقرها المصادر الأدبية، كما أن تواريخ الشواهد المادية المكتشفة بالمدينة لا تدعم هذه الفرضيات، لأنها لا تتجاوز في أحس الأحوال نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليها لتأكيد الأصول الفينيقية (لكيرتا)، كما أننا نرفض القبول بالحجة الأثرية حجة قاطعة تلزمنا التخلي عن المعطيات التي تقدمها المصادر الأدبية الإغريقية واللاتينية التي لا تشير إلى تاريخ تأسيس المدينة، ولا إلى مؤسسيها، ولا إلى تبعيتها للفينيقيين وللقرطاجيين من بعدهم، لكنه بالمقابل يتأكد من خلال رواية "جوستينوس-Justinus" أن علاقة قرطاجة بالليبيين ترجع إلى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، والتي اتضحت من خلال تركيبة الجيش القرطاجي الذي وجه إلى (صقلية) سنة 410 ق.م، بحيث ضم مجندين من السكان المحليين(17) ، ولكن من دون أن يشير إن كانوا مرتزقة أو حلفاء، أو نوميدا أو موريين، وإذا ما افترضنا أنه كان من بينهم نوميديين، فلا شيء يؤكد أنهم من (كيرتا) ،ثم أنه صحيح قد تم الوقوف (بكيرتا) على مظاهر حضارية بونية تجسدت في التنظيم الإداري، وفي اللغة، والمعتقدات، وأسماء الأعلام، غير أنها ليست دليلا كافيا لتأكيد نشأتها الفينيقية، لأنها مجرد تأثير قرطاجي في هذه المجالات ، كما أن هذا لا ينفي الأصل المحلي لها، خاصة وأن هذه المدينة بقيت منفتحة على مختلف حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط(18).

ثانيا – الانتقائية في دراسة المواضيع ذات الصلة بتاريخ الجزائر القديم:

إذا ما حاولنا تقييم حصيلة الأبحاث المنجزة حول تاريخ الجزائر القديم خلال الفترة الكولونيالية ، فإننا لا نجد صعوبة في التفطّن إلى وجود ثلاثة أصناف من الكتابات التاريخية، صنف أول ضم تآليف عامة سلّطت الأضواء على جوانب من تاريخ الجزائر القديم في العصور القديمة، تندرج ضمن إطار محاولات أصحابها، إبراز إسهامات الحضارات المتوسطية المتعاقبة على بلاد المغرب القديم عموما، أو الجزائر القديمة على وجه الخصوص، مثل الحضارة الفينيقية، والقرطاجية، ثم الحضارة الرومانية من بعدها، غير أن مراجع هذا الصنف -مع الأسف الشديد - ، لم تر في التاريخ الجزائر القديم إلا جزئية واحدة من دراسة التاريخ السياسي والعسكري لمملكة نوميديا خلال الحرب البونية الثانية (218 – 201 ق.م)، و تاريخ

التحالفات التي أبرمها ملوك هذه المملكة تارة مع القرطاجيين، وتارة أخرى مع الرومان في مرحلة أولى، ثم في مرحلة ثانية على تاريخ الصراع العسكري الدائر ما بين الرومان والملك النوميدي "يوغرطة- Iugurtha" خلال حرب "يوغرطة" (111 – 105 ق.م)، أو خلال الحرب الأهلية الرومانية (49 – 46 ق.م)، ثم أثناء تحولها إلى مقاطعة رومانية في ظل الاحتلال الروماني في سنة 46 ق.م ، والتغيرات التي طرأت على الوضعية الإدارية لمدنها وأريافها خلال القرون اللاحقة وحتى نهاية الاحتلال الروماني سنة 429 م، وذلك بسبب تلك الإشارات المحدودة والمبعثرة التي تزودنا بها مصادرنا الأدبية التي لم تهتم بتاريخها إلا من زاوية هذا الصراع، بينما أغفلت باقي الجوانب الإدارية، والحضارية، والاجتماعية، والاقتصادية التي ظلت ولا تزال حبيسة تقارير الحفريات، ولم توظف من أجل الكشف عن مظاهر التطور الاقتصادي، والاجتماعي في تلك الحقبة المهمة من تاريخ هذه المنطقة .

وتنحصر كتابات الصنف الثاني في تلك الدراسات النادرة التي حاولت أن تؤرخ للمدن في الفترة السابقة الاحتلال الروماني، سواء تلك التي ارتبطت بفترة العصور الحجرية وفجر التاريخ، أو التي تتعلق بتاريخ المدن النوميدية، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر أعمال "لابلاس- G.Laplace" (19) ، و"دوبريج- A.Debruge"(20) ، و"كامبس- G.Camps"(21) ، و"جوزيف بوسكو- J.Bosco "(22) ، و"أندري برثي- A.Berthier" حول مدينة قسنطينة (23) ، غير أن معظم دراسات هذا الصنف والتي أظهرت نوعا من الاهتمام بتاريخ (كيرتا) النوميدية انطلقت من تفسير مختلف التطورات التي ستعرفها هذه المدينة من منطلق التأثيرات الخارجية المتوسطية دون مراعاة دور المؤثرات الداخلية، وبخاصة إسهامات الصحراء في هذا المجال خلال فترة فجر التاريخ، ودور تجارة القوافل في تحولها إلى سوق كبيرة، وذلك منذ القرن الرابع قبل الميلاد على الأقل، بحيث لم يتوان بعض الباحثين الفرنسيين عن ربط كل مرحلة مرت بها هذه المدينة خلال فترة ما قبل الاحتلال الروماني بتأثيرات خارجية لمناطق مختلفة تارة، أو من خلال التأكيد على ظهورها المتأخر مقارنة بغيرها من الحضارات المعاصرة تارة أخرى، ونذكر في هذا السياق على سبيل المثال لا الحصر الأثري "دوبريج- A.Debruge" الذي ينسب أصول الأدوات الحجرية المختلفة المكتشفة بمختلف مواقع المدينة لحضارات ما قبل التاريخ الأوربية مثلما ينسحب ذلك على صناعة الفخارية، ولا سيما تلك المكتشفة بالموقع العصر الحجري الحديث التي لا يرجع تاريخها بنظر "كامبس- G.Camps"، و"بارتراندي- F.Bertrandy" الذي تبنى هذا الرأي من بعده، سوى للقرن الثالث قبل الميلاد، كما أن "جوزيف بوسكو- J.Bosco" ينسب ظهور المدافن الجنائزية أحد مظاهر الانتقال لفجر التاريخ بنزول الفينيقيين بالمدينة، هذا دون أن ننسى "برثي - A.Berthier" الذي وظّف نتائج تنقيباته الأثرية المنجزة فيما بين 1943م– 1963م ذات الصلة بتاريخ (كيرتا) النوميدية التي لا يتجاوز تأريخها في أحسن الأحوال نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، وذلك بالتزامن مع إقرار المصادر الأدبية الإغريقية واللاتينية صفتها عاصمة لمملكة نوميديا، لدعم فرضيته حول الأصول الفينيقية لها مثلما سبق ذكره.

واهتم أصحاب مؤلفات الصنف الثالث بالتاريخ الروماني للجزائر من أجل إعادة بعث الجزائر الرومانية والمسيحية، ولا يمكن لنا من خلال هذا المقال أن نعقد كل الأمثلة المجسدة لهذا الحكم، ولكن يكفي التذكير بما ورد على لسان أول أمين للجمعية الأثرية للإقليم القسنطيني "أوغست شاربونو- A.Cherbonneau" في معرض تعليقه على اكتشافه لنقيشة الشهداء المكتشفة بقسنطينة في مقاله المنشور سنة 1853م بالعدد الأول من المجلة الحولية التي تصدرها هذه الجمعية، بحيث كتب يقول بهذا الخصوص" .....أليس من المهم أن نؤكد للسكان المحليين أن عبادة المسيح كانت منتشرة (بقسنطينة) قبل ديانة محمد، وإننا لا نحترم هؤلاء المتعبدين والقدسين.. "، بينما كتب في مقاله المنشور فيما بين سنة

1858 – 1859م بالعدد الرابع الصادر بذات المجلة يقول فيه "...وفي انتظار نهاية التنقيبات الأثرية في هذا البلد الغني والمزدهر بفضل جهود هذا المستعمر، فأنا أنسخ شواهد قبور الأشخاص الذين ساهموا في هذا التطور قبل مجيئ المسلمين....(24) ، وفي ظل هذا المناخ ظهرت أول دراسة معمقة لتاريخ مستوطنة (كيرتا) الرومانية في سنة 1894م لمؤلفها "شارل فار-Ch.Vars في العدد التاسع والعشرين من المجلة الحولية للجمعية الأثرية للإقليم القسنطيني- "Recueil des notices de la sociét archéologique de Constantine"، قبل أن يعاد نشرها في السنة الموالية في مؤلف خاص(25).

هذا وركزت مؤلفات الصنف الثالث ذات الصلة بتاريخ الأرياف والمدن الرومانية على المواضيع المرتبطة بالتاريخ السياسي والإداري والعسكري والمعالم الأثرية، بينما لم يشغل تاريخها الاقتصادي، والاجتماعي حيزا من اهتمامات هذه الدراسات، على غرار تاريخ معتقدها الذي لم يتجاوز في معظم الأحوال تعداد المعبودات الرومانية والأجنبية التي أقبل السكان على اعتناقها ، والكشف عن المعبودات المحلية التي استمرت عبادتها في ظل الاحتلال الروماني، ومعرفة الأسباب التي دفعت بهم إلى الاهتمام ببعضها دون بعضها الآخر، غير أن هذه المؤلفات أهملت ترتيب هذه المعبودات حسب أهميتها انطلاقا من معطيات النقوش التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية، و لاذت بالصمت عن تفسير ظاهرة تعدد المعبودات ليس داخل المجتمع الواحد، وإنما في أوساط الأسرة الواحدة، وأحيانا على مستوى الفرد بعينه في ظل هذا الاحتلال.

3 – التأويلات المغرضة والأحكام المسبقة التي تفتقد للدلائل العلمية:

لم تخلو الدراسات الأكاديمية القيمة التي انجزها بعض الباحثين الفرنسيين خلال الحقبة الاستعمارية من الأحكام المسبقة التي لا تجد من الأدلة العلمية ما يدعمها ، ولا يمكننا بهذا الخصوص أن نستحضر كل الأمثلة المجسدة لهذا الرأي، وإنما سنورد بعض الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر، وسنخص بالذكر أعمال الأثري الفرنسي "ستيفان غزال – St.Gsell" التي تعد عماد الدراسات التاريخية والأثرية الحديثة خلال القرن العشرين وحتى وقتنا الحاضر، لاسيما وأنها تحتوى الكثير من المعلومات الدقيقة عن تاريخ المدن والأرياف الجزائرية في الفترة النوميدية والرومانية على حد سواء ، غير أن ما يمكن أن نشير إليه بهذا الخصوص، أن مؤلفه "التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية – Histoire ancienne de l'Afrique du Nord" لم يسلم شأنه في ذلك شأن بعض الدراسات الفرنسية السابقة الذكر، من بعض الآراء التي لا تجد ما يدعمها علميا مثل رأيه المدون في الصفحة 82 من الجزء السادس من هذا الكتاب، والذي ضمنه حديثه عن أهمية الدور التجاري (لكيرتا) عاصمة المملكة النوميدية، والذي أخذ به أستاذنا الدكتور "محمد الصغير غانم" من بعده(26)، بحيث كتب يقول بهذا الخصوص "..... لقد كانت (كيرتا) خلال القرن الثالث وبداية القرن الثاني قبل الميلاد من بين العواصم التجارية في العالم القديم التي استوردت العديد من خوابي الخمور التي تحمل على مقابضها أختاما تحدد فترة الصنع، وأن معظم السكان كانوا يحبذون شرب الخمر على الماء...".

وإذا كنّا نشاطر هذا الباحث بخصوص الأهمية التجارية لمدينة (كيرتا) التي لا تشوبها شائبة وفق ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية حتى وقتنا الراهن، فإننا نختلف معه في الحكم الذي توصل إليه بهذا الخصوص في جملته الأخيرة من رأيه القائل: "....بأن معظم السكان كانوا يحبذون شرب الخمر على الماء... "، لاسيما وأن هذا الرأي لا يستند – باعتقادنا- على أدلة قوية تدعمه، خاصة وأنه لم يعثر إلا على 16 خابية "رودسية" بمملكة نوميديا تنسب إلى فترة حكم الملك "ماسينيسا-Massinissa"(203 -148 ق.م)، وابنه "مكيبسا-Micipsa"(148 -118 ق.م) وبعض الخوابي "الكمبانية" المنسوبة إلى القرنين الثالث والثاني ميلاديين، اكتشفت جلها بعد وفاة هذا الباحث سنة 1932م، كما أن هذه الكمية القليلة التي

عثر عليها، دفعت ببعض الباحثين الذين تناولوا من بعده دراسة هذه المخلفات، وبخاصة الأمفورات الإغريقية ضمن تقاريرهم الحفرية أو من خلال تسليط الضوء على تاريخ العلاقات النوميدية الإغريقية مثل "برثي- A.Berthier" ثم "ولد الطاهر"، إلى حد التشكيك في وجود هذا النوع من المبادلات التجارية ،ولكن دون أن يتعرضا لرأي "غزال- St.Gsell" المتعلق بهذا الخصوص(27).

ونضيف إلى ما سبق ذكره، ما أورده في الصفحة 214 من ذات المؤلف، وذلك حينما أطلق فرضيته المتعلقة بطرق الدفن المتبعة في مقابر فجر التاريخ، وعلى وجه الخصوص المصاطب – وذلك على غرار بعض الباحثين الفرنسيين اللاحقين مثل "برثي- A.Berthier" إذ كتب يقول بهذا الخصوص "..... أن لحم الميت كان يغلى في الماء الساخن وبعدها يفصل اللحم عن العظم بواسطة السكين....."(28) ، هذا التفسير الذي يتنافى – باعتقادنا- مع المنطق، ومع بروز فكرة الدفن لدى إنسان العصر الحجري القديم الأوسط التي كانت تهدف إلى حفظ جثث موتاه.

يضاف إلى ما سبق ذكره أن الباحث المختص في تاريخ الجزائر القديم يصدم عند دراسته للمجتمع " النوميدي "، بسلسلة من الأحكام التي ذاعت طويلا عند التعرض لهذا الموضوع ، إذ تعودت الدراسات الفرنسية، أن تقدم لنا هذا المجتمع على أنه مجتمع قبلي محظ ، وكأن القبيلة ظلت مؤسسة متحجرة لم تعرف تغيرا قبل الاحتلال الروماني، هذه الرؤية التي تتنافي- بنظرنا – مع طبيعة مجتمعات مدن المملكة النوميدية بما فيها حاضرتها (كيرتا)، ذلك ما استخلصناه من إعادة قراءة المصادر الأدبية، واستنطاق المصادر المادية، وبخاصة النصب النذرية البونية، والبونية الحديثة المكتشفة فيما بين سنوات 1875م و1950م بموقع (الحفرة) بقسنطينة(29) ، والتي تدلنا على وجود مجتمع حضري يتكون من مزيج بشري يضم السكان المحليين والوافدين كالقرطاجيين، الإغريق، الإيطاليين، الغاليون، والإسبان، يخضع أفراده لتراتبية اجتماعية – غير مقننة بخلاف المجتمع الطبقي في ظل الاحتلال الروماني - تضم الطبقة العليا التي يعتلى قمتها الطبقة الحاكمة، والطبقة الدنيا التي تشمل العامة.

ثالثا : قواعد وأسس إعادة كتابة تاريخ الجزائر القديم :

إن إعادة كتابة تاريخ الجزائر القديم لا تعني إعادة نقله من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية كما هو حاصل في وقتنا الحاضر ، بل إن مهمة الباحث أن يعيد كتابة هذا التاريخ بأعينه الخاصة دون أن يسقط في فخ عدم الموضوعية، وذلك من خلال إعادة كتابة تاريخ المنطقة بأفضاله ونواقصه بكل موضوعية وحياد ، ولن يتم ذلك إلا بإعادة النظر في صياغة الإشكاليات ، وتجاوز تلك التي أصبحت بمثابة مسلمات، لأنها – وكما قلنا سابقا- ستقود ضمنيا نحو النتائج نفسها بعيدة كل البعد عن الموضوعية المتوخاة ، كما أنه عليه أن يعيد النظر في مفهوم مجال وزمان هذا التاريخ ، وأن يلم بمصادره ويقوم بتمحيصها ونقدها(30).

1 –إعادة النظر في مفهوم مجال و زمان تاريخ الجزائر القديم :

إن المجال الذي يشغله تاريخ الجزائر القديم - بنظرنا- أكبر بكثير من المجال الذي اهتمت به الدراسات الحالية والذي لم يتجاوز المناطق الشمالية والداخلية ، في حين بقيت مناطق شاسعة في الجنوب بما في ذلك الصحراء الكبرى – مجالا محليا بامتياز- ، تم تجاهله في المصادر الأدبية نظرا لما بث في أصحابها من خوف ، فتصوره خلاء من كل شيئ إلا من الغرائب والعجائب، ولذا فإن فهم تاريخ المنطقة القديم في شموليته ، يجب أن يأخذ بعين الاعتبار هذه المجالات الجنوبية الصحراوية ، لأنه ثبت أن هذه المناطق أثرت بشكل كبير في مجريات الأحداث التاريخية في المنطقة سواء على المستوى التقني أو الفكري والحضاري بشكل عام ، ثم إن الاهتمام بهذه المناطق الجنوبية كفيل بإخراج التاريخ القديم للجزائر من مجاله الضيق الذي حشرته بداخله الكتابات الاستعمارية لمجال أوسع ما يزال خصبا للبحث والتنقيب(31).

إن توسيع البحث في مجال التاريخ الجزائري القديم، يصح أيضا، على مستوى تحقيبه، إذ يبدو أن تحديد هذا التاريخ في فترة ممتدة ما بين نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد و حتى القرن السابع الميلادي أصبح تحديدا ضيقا، إذ أنه يجب أن يشمل أيضا ، بالضرورة فترتي ما قبل التاريخ وفجر التاريخ ، لأن العديد من الأحداث التاريخية والجوانب الحضارية تجد أصولها في هاتين الفترتين(32).

2 – الإلمام بمصادر كتابة تاريخ الجزائر وتمحيصها ونقدها :

يعتمد تاريخ الجزائر القديم في كتابته على مجموعة من المصادر الأدبية والقانونية، والنقوش، والمسكوكات، وتقارير الأبحاث والتنقيبات الأثرية، هذا إلى جانب معاينة المعالم الأثرية والشواهد المادية التي اكتشفت بمدنه وأريافه، والمحفوظة على مستوى المتاحف الجهوية و الوطنية و العالمية ، هذه المصادر التي دأبت الدراسات الحديثة إلى تصنيفها إلى نوعين من المصادر ألا وهي المصادر الأدبية والمصادر المادية.

أولا - المصادر الأدبية:

ينطبق مصطلح المصادر الأدبية على الوثائق المكتوبة المدونة باختلاف محاورها وصيغها، والمصدر المكتوب هو كل نص عاصر الأحداث أو كان من زمن وقوعها، هذه المصادر التي تشمل عدة أنواع ألا وهي:

1 - المصادر الإغريقية والرومانية : تتفق مقدمات الدراسات المعاصرة لتاريخ الجزائر القديم حول إشكالية المصادر المحلية ، ذلك أن دراسة هذه الحضارة من خلال المصادر الأدبية تقتصر على المصادر غير المباشرة وتحديدا الإغريقية واللاتينية ، ويتمثل القاسم المشترك بين هذه المصادر في الاهتمام بتاريخ الجزائر القديم من حيث علاقته بالرومان و القرطاجيين ، والتعرض إلى الأوضاع الداخلية بهذه المنطقة رغم ندرتها وإبراز وتفسير علاقتها مع الأطراف المشار إليها آنفا (33) وسنقتصر على ذكر أهم الكتاب القدامى وكتابتهم بناء على تنوع مادتهم المرتبطة بتاريخ هذه المنطقة :

أما عن الكتاب الإغريق الذين نتزود من مؤلفاتهم بأخبار عن تاريخ المنطقة ، فإن بعضهم لا يقل بل يزيد في أهميته عن المؤرخين الرومان أنفسهم ، ويأتي في مقدمتهم "هيرودوتوس- Herodotus" (484–420 ق.م) (34)، بوليبيوس(Polybius) (200 – 120 ق.م)(35) ،"بلوتارخيوس- Plutarchus "(46 – 120م)(36) "ديودروس الصقلي " Diodorus de Sicile(90 -20 ق.م أو 80 -30 ق.م)(37) "أبيانوس- Appianus" (95 -165م) (38)، "ديو كاسيوس - Dio Cassius Cocceianus" (155-230م) (39).

أما فيما يتعلق بالكتاب القدامى اللاتين فنذكر من بينهم "كريسبوس سالستيوس- C.Crispus Sallustius"(86 -34 ق.م) (40)"، يوليوس قيصر – Iulius Caesar(44-101ق.م) (41) ، "تيتيوس لفيوس- Titius Livius "(59- 17 ق.م) (42)، "جوستينوس- Justinus" القرن الثاني (43)، ويأتي بعد ذلك مؤرخون رومان أقل أهمية، وإن كنا نتزود منهم بأخبار متفاوتة عن تاريخ الجزائر القديم ومنهم "كورنليوس نيبوس- Cornillius Nepos (100- 24 ق.م أو 99 -20 ق.م) فليوس باتكوليوس– C.Vellius Paterculus"(30 ق.م-30م (44)، قاليريوس مكسيميوس– Valerius Maximus"(37- 14) (45)، أوتروبيوس– Eutropius"(46) "فلوروس- Florus"(47).

2 - الشعراء :

يأتي الشعر اللاتيني ليلقي أضواء على بعض الأحداث التاريخية ذات الصلة بتاريخ الجزائر القديم ، ولا يتسع المقام إلا

للحديث عن أهم الشعراء الذين نتزود منهم بمعلومات تاريخية مثل "سيليوس إيتاليكوس Silius italicus (26 – 101م) (48) ، و"أنيوس لوكانوس- M.Annaeus Lucanus "(39 – 65 م)(49) .

3 - الخطباء:

لا ينبغي أن نغفل الخطابة عند الكلام عن مصادر كتابة تاريخ الجزائر القديم ، ومن المؤسف أنه لم يصلنا من خطب الساسة الرومان إلا النزر اليسير فيما عدا "توليوس كيكيرو - M.Tullius Cicero" (106- 43 ق.م) الذي أبقى الزمن على عدد كبير من خطبه، هذه "الخطب- Orationes" التي تمدنا بمعلومات عن نواحي متعددة كالقانون الروماني والنظام القضائي والنظم السياسية والحياة الاقتصادية والاجتماعية والنظام الضريبي وإدارة المقاطعات، إلى جانب مؤلفه "الرسائل- Epistulae" التي بلغ عددها 864 رسالة موجهة إلى أقربائه أصدقائه المقربين من ضمنها رسائله إلى صديقه "أتيكوس- Ad Atticum"(50).

يضاف إلى مجمل المصادر المذكورة، بعض الكتاب القدامى الذين تقتصركتاباتهم عن تلميحات عرضية لا يمكن التغاضي عن توظيفها والاستفادة منها وهم :

4 - كتاب البحوث: نذكر من بينهم "فارو- M.Terentius Varro)(116-27م) ، وموسوعته " في الشؤون الريفية أو العقار الزراعي"de Re Rustica"، يضاف إلى هذه الموسوعة بحث "كاتو- Cato" في الزراعة "de Agri" و بحث "كوليمال- Columelle"(منتصف القرن الأول ميلادي) الذي يحمل نفس عنوان مؤلف فارو، هؤلاء الذين تعتبر مؤلفاتهم من المصادر الرئيسية لكل ما نعرفه عن الزراعة وما يتصل بها عند الرومان، إلى جانب بوليو فيتروفيوس-Vitruvius Pollio (27 ق.م-14م) الذي كتب بحثا بعنوان "في العمارة - de-Architectura" ضمنه كل ما يتعلق بتخطيط المدن والفن المعماري(51).

5 - مصنفو الموسوعات: يأتي في مقدمتـهم "بلينيوس سيكونـدوس- C.Plinius Secundus " (23 – 79 م) (52) ، و"ثيودوزيوس ماكروبيوس – Ambrosius Theodosius Macrobius "(القرن الرابع ميلادي) (53)،

6- الجغرافيون: ونذكر من أبرزهم الجغرافي "سترابو-Strabo" (64 ق.م– 21 أو25م) المعروف خطأ بـ"سترابون" والذي زار الجزائر القديمة، وهو يعرفنا من خلال كتابه السابع عشر من مؤلفه "الجغرافية–Geographia" بحدود مملكتا الماسيل والماسيسيل، وبسيغا (Siga) تاكمبريت الحالية، عاصمة الملك صيفاقس "Syphax"، كما أنه يتحدث عن التطور الذي شهدته عاصمة المملكة النوميدية في ظل حكم الملك "مكيبسا-Micipsa"(54)، إلى جانب مواطنه الجغرافي الإغريقي "كلوديوس بطليموس-Claudius Ptolemaei "(100 – 170م) الذي زودنا بمعلومة قيمة في مؤلفه "الجغرافية - Geographia" تخص قبائل ومدن الجزائر القديمة (55).

7- كتابات رجال الدين:

يستلزم لمعرفة مختلف التطورات التي شهدها تاريخ الجزائر القديم والمرتبطة بالجوانب الدينية، وبخاصة ما يتعلق بالديانة المسيحية، البحث في كتابات رجال الدين مثل مؤلفات أسقف (قرطاجة) "تارتليانوس-Tertullianus"(56) (حوالي160– توفي حوالي 220–225م و"القديس كايكيليوس كبريانوس-Cyprianus"(حوالي200–258م)(57)،و"أوبطاطوس-Optatus"(حوالي320–حوالي392م)(58)، و"أغسـطينوس- Augustantinus (354– 430م) (59) وغيرهم كثيرون، لمعرفة بعض الحقائق التي لها علاقة بالمبادئ التي قام عليها هذا الدين، وتنظيم جهازه الكنسي، والفئات الاجتماعية التي اعتنقته، والاضطهادات التي طالت معتنقيه قبل الاعتراف به في سنة 312م، وكذا معرفة تاريخ ظهور الدوناتية بالمدن والأرياف الجزائرية المحتلة، وانقسام المسيحين بها، إلى فريق موالي للكنيسة الكاثوليكية، وفريق دوناتي معادي لها، غير أننا نشير بخصوص هذا الموضوع، إلى ندرة

الكتابات الدوناتية التي ضاع معظمها(60)،كما تأتي هذه المصادر لتلقي بعض الأضواء على جوانب من الحياة الاجتماعيةوالاقتصادية، وإن كانت تلك الأضواء خافتة، على اعتبار أن رجال الدين لم يعيروا للوقائع غير الدينية إلا اهتماما عابرا ، نذكر من ذلك أننا تعرفنا من خلال كتابات القديس "كبريانوس-Cyprianus" ظاهرة انتشار الملكيات الكبرى نتيجة عمليات الاستيلاء على الأراضي"(61).

8- المراسيم و المحاضر الرسمية للتحقيق التي جرت أمام السلطات السياسية الرومانية: يضم هذا النوع من المصادر المراسيم التي أصدرتها السلطات الرومانية في حق المسيحيين قبل تنصر السلطة(62)، وهي تكتسي أهمية كبيرة في معرفة تاريخ ظهور المسيحية ومعرفة أساليب سياسة الاضطهاد التي شنت ضدهم وكذا استئنافها – بعد فترة سلم موقتة نعم بها المسيحيون بعد وفاة الإمبراطور "سيبتيموس سيفيروس– Septimus Severus" (193–211م)- وذلك منذ عهد الإمبراطور "دقلديانوس-Diocletianus "(284-305م) وأساليبه الجديدة التي أقرتها تشريعاته الصادرة فيما بين 303–304م، والتي نصت على سجن رجال الدين، وعلى عدم السماح للمسيحيين بعقد اجتماعاتهم، وتأدية شعائرهم، وهدم كنائسهم، وحجز كل الأدوات التي كانت تستعمل في الطقوس، زيادة على مصادرة أملاكهم العقارية، وحرق كتبهم المقدسة، كما سمحت لنا هذه التشريعات بمعرفة تنظيم الكنيسة الكاثوليكية سواء تعلق الأمر بالأساقفة والكهان، والشماسة أو العاملين في الوظائف الدنيا بداخل هذه المؤسسة الدينية، إلى جانب معرفة كيفية حدوث الانشقاق الديني والأحداث السابقة له، والتي لها علاقة بظهور الدوناتية بالجزائر القديمة (63).

9– قرارات المجامع الدينية:

لقد ساهم هذا النوع من المصادر الأدبية بقسط وافر في التعريف بتنظيم الكنيسة الكاثوليكية والدوناتية على حد سواء، بحيث تعرفنا من خلال محضر مجمع (كارتاجو-Carthago) المنعقد سنة 256م، على أسماء الأساقفة وعدد الأسقفيات الموجود بالجزائر القديمة قبل الاعتراف بالديانة المسيحية(64)، بينما إطلعنا من خلال محضر مجمع (كيرتا) المنعقد سنة 305م على الأسباب الدينية لظهور الدوناتية ككنيسة منشقة عن الكاثوليكية(65)، في حين سمح لنا محضر مجمع (قرطاجة) المنعقد سنة 411م في الكشف عن التطورات التي عرفتها الكنيسة الدوناتية منذ ظهورها، وحتى هذا التاريخ، هذه المعلومات التي وصلتنا من خلال وقائع تلك المناظرات التي دارت ما بين رجال الدين الكاثوليك والدوناتيين التي جمعها القديس "أغسطينوس- Augustinus" في مؤلف خاص نشره في نهاية هذه السنة بعنوان "ثلاثة كتب في تلخيص المناظرة مع الدوناتيين-Brevicus collationis cum donatistis libri tres"(66).

10- النصوص القانونية:

ساهم هذا النوع من المصادر الأدبية وبخاصة تلك القوانين والتشريعات الرومانية التي جمعت في سجلين ينسب إحداهما

إلى الإمبراطور "ثيودوزيوس الثاني-Codex Theodosianus" التي أصدرها في سنة في مستهل سنة 438م(67)، ويرجع الثاني إلى للإمبراطور "جوستينيانوس-Codex Justinianus"(528-565)(68)، في تسليط الضوء على جوانب مهمة من الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية لمجتمع الجزائر القديمة في ظل الاحتلال الروماني.

11– كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب و المسلمين:

نضيف إلى هذه المصادر السابقة، كتابات المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين التي ألفت ما بين القرن الخامس والعاشر الهجريين (ما بين القرنين 11 و16م)، والتي لها أهميتها من حيث أنها تعرفنا على بعض أحوال سكان الجزائر في القديم عشية الفتح الإسلامي فضلا عن المعالم الأثرية للمنطقة، ونذكر من هذه المصادر على سبيل المثال لا الحصر كتاب "الاستبصار في عجائب الأمصار " لصاحبه مجهول (المتوفي سنة 1180 م) ، وغيره من سابقيه ولاحقيه من الكتاب، والرحالة والجغرافيين مثل "أبو عبيد عبد الله البكري" (1028 – 1094م) و"أبو عبد لله محمد بن عبد الله الإدريسي" (1100 – 1165م) ، و"حسن بن محمد الوزان" (1483– 1555م)(69).

ثانيا :المصادر المادية :

تكتسي المصادر الأثرية أهمية خاصة في دراسة تاريخ الحضارات القديمة باعتبارها معين معلومات لا غنى للدارس عنه ، وتزداد أهميتها فيما يتعلق بتاريخ الجزائر القديمة بالذات بسبب افتقارنا للمصادر الأدبية المحلية ، لاسيما بعد ضياع جل ما كتبه المؤرخون المحليون(70)، ولعدم فك رموز الكتابة الليبية التي عثر المئات من نقوشها هذا من ناحية(71) ، ونتيجة لندرة المعلومات التي تزودنا بها المصادر الإغريقية واللاتينية من ناحية أخرى ، وتتمثل هذه المصادر غير الأدبية في المعطيات الأثرية ، سواء منها المعالم الحضرية أو المقابر ومحتوياتها أو الخزف والمنتجات الفنية ذات الأغراض المختلفة، فهي تمثل مصدرا رئيسيا لصياغة تصور متكامل عن تاريخ الجزائر القديمة ، كما أساسية لملء الفراغ الناتج عن نقص المصادر المكتوبة المباشرة أو محدوديتها أو غيابها كليا ، لذا فإن الحفريات الأثرية في المجالات الحضرية والمسح الأثري في المجال الريفي ، يمثلان السبيل الأمثل لتعميق المعرفة بخصائص هذه الحضارة وتاريخها(72).

1 - النصب البونية والبونية الحديثة:

تعتبر هذه النصب مصدر معلومات على قدر كبير من الأهمية، إذ لا يمكن للدارس المهتم بتاريخ الجزائر القديم تجاهلها بحكم مساهمة النصوصوالرسوم المرافقة لها في إثراء معرفتنا التاريخية المرتبطة بهذه الحقبة المهمة من تاريخ المنطقة ، وبخاصة ما يرتبط بالتنظيم الإداري، والمجتمع، والاقتصاد والمعتقد، والتي لم تتطرق لها المصادر الأدبية، بحيث سمحت لنا بمعرفة الوظائف الإدارية، والدينية، والعسكرية، والمهن الحرة التي مارسها سكان الجزائر القديمة في الفترة الممتدة ما بين القرن الثالث والأول قبل الميلاد، وغيرها من النصب التي لها فائدتها من حيث أنها تتضمن أحيانا معلومات عن التشكيلة الاجتماعية للسكان من حيث أصولهم المحلية، أو الأجنبية، زيادة على ما يمكن أن نستخلصه منها بخصوص المعتقد، وبخاصة ما يتعلق بالمعبودات الفينيقية القرطاجية التي أقبلوا على اعتناقها قبل الاحتلال الروماني(73).

ويستأثر موقع (الحفرة) (بكيرتا- Cirta) قسنطينة الحالية بأوفر عدد منها، تم الكشف عنها بداخل معبدها المكرس لعبادة الزوج الإلهي بعل حامون " Baal – Hammon" و الربة تانيت " Tanit" وكانت هذه النصب المكتشفة بهذه مدينة موضوعا للعديد من الدراسات الجزئية، التي تناولت بالدرجة الأولى فك رموزها الكتابية ودراسة زخارفها، قبل أن يتم دراسة النصب المكتشفة في مختلف أحياءها بصفة كلية في أحدث دراسة أنجزها كل من "سيزنكر-M.Sznycer"، و"بارترانديF.Bertrandy-" في مؤلفهما القيم الذي حمل عنوان "النصب البونية لقسنطينة- Les stèles puniques de Constantine" الذي نشر في سنة 1987م(74).

2- النقوش اللاتينية والإغريقية:

يضاف إلى هذا النوع من المصادر المادية، عدد ضخم من النقوش "Inscriptiones" المدونة على الحجر، أو على الرخام، مؤرخة فيما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الرابع ميلادي، كتب جلها باللغة اللاتينية، مقابل عدد ضئيل من النقوش المدونة بالإغريقية، نشر جزء من هذه النقوش وبخاصة تلك التي تم اكتشافها في شرق الجزائر مباشرة بعد اكتشافها في "مجلة حوليات الجمعية الأثرية للإقليم القسنطيني- Recueil des notices de la société archéologique de département Constantine"، قبل أن يتم جمعها لأول مرة من طرف علماء النقوش الألمان العاملين في أكاديمية (برلين)، بحيث أسندت هذه المهمة في البداية إلى "قوستاف ويلمانس-G.Willlmans"، لكنه توفي قبل أن ينهي عمله، فخلفه "ثيودور مومسن-Th.Mommsen" الذي نشر هذا العمل سنة 1881م، في المجلد الثامن من "سجل النقوش اللاتينية- Latinarum Corpus Inscriptionum "، وتلت هذه المجموعة، مجموعة ثانية جمعها الأثري الفرنسي"ستيفان غزال-St.Gsell"، ونشرها من بعده عالم النقوش الألماني "جورج هانس فلوم-G.H.Pflaum" سنة 1957م في"سجل النقوش اللاتينية للجزائر- Inscriptions latines de l'Algerie" ، ويضاف إلى هذه السجلات تلك النقوش التي نشرت في "مجلة النقوش- Année épigraphique" ،كما كان يصدر بهذه المجلة بين الحين والآخر مراجعة قراءة بعض النقوش السابقة الذكر(75).

تكتسي هذه النقوش أهمية قصوى، لا لأنها تكمّل ما جاء في المصادر الأدبية من نقص، وتصحح ما ورد فيها من أخطاء، بل لأنها- بخلاف المصادر الأدبية - تمدنا بمعلومات عن حياة الأفراد العاديين وحرفهم، وأفكارهم، ومعتقداتهم، كما أنها تلقي أضواء ساطعة على بعض مظاهر الحضارة الرومانية السياسية، والعسكرية، والاجتماعية، والحضارية للجزائر الرومانية منذ النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد وحتى نهاية الاحتلال الروماني سنة 429 م، فضلا عن تلك المعلومات القيمة عن مراسيم الديانة الوثنية المحلية، والأجنبية، وانتشار المسيحية، كما أنها توضح لنا بجلاء "سلك المناصب الإدارية- Cursus honorum" الكبيرة والصغيرة، سواء الخاصة "بهيئة السناتو- Ordo Senatus"، أو "بهيئة الفرسان - Ordo equester "، أو "هيئة أعضاء المجلس البلدي-Ordo Decuriones"، إلى جانب تقدير الضرائب، والتوسع في منح "حقوق المواطنة الرومانية-Civitas romana"، ونشاط حركة التمدن، وثمة مجموعة من النقوش نستقي منها معلومات وافية عن التنظيم الإداري للمستوطنات وأخرى عن سلطات الأباطرة الرومان وممتلكاتهم الخاصة داخل المستوطنات وطريقة إدارتها (76).

3- المسكوكات :

نستقي من النقود، وهي موضوع علم المسكوكات معلومات مفيدة، بل معلومات بالغة الأهمية في بعض الأحيان، وبخاصة ما يرتبط بالجانب السياسي والإداري والاقتصادي، إذ سمحت لنا سجلات النقود التي أنجزت من قبل علماء المسكوكات منذ نهاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وحتى مطلع القرن الواحد والعشرين مثل سجلات النقود التي أصدرها الباحث الألماني "مولار-L.Muller" في سنة 1862م، و"لويس شاري-L.Charrier" في سنة 1912م، و"جون مازار-J. Mazard" في سنة 1955م، إضافة للدراسات التي أنجزت بهذا الخصوص مثل أعمال "تروسال-M.Troussel" ، بمعرفة العملة المكتشفة بمختلف أرجاء المدن والأرياف الجزائرية القديمة والتي ترجع إلى الحقبتين النوميدية والرومانية، والتي من ضمنها تلك التي ضربها الملوك النوميديين، إلى جانب العملات التي سكت باسم بعض المدن والتي لها فائدتها من حيث أنها تعرفنا على أسماء المدن المدونة باللغة البونية والبونية الحديثة بخلاف أسمائها المدونة باللغة الإغريقية واللاتينية التي أطلعتنا عليها المصادر الأدبية الإغريقية واللاتينية ، كما أنها سمحت لنا بمعرفة حكامها الأشفاط الذي كان مخول لهم حق ضرب هذه العملة، وغيرها من المعلومات التي لها علاقة بالأنشطة الزراعية، والرعوية التي مارسها أفراد المجتمع الجزائري القديم في ظل حكم المملكة النوميدية ، كما سمحت لنا بمعرفة الوضعية القانونية للمدن في ظل الاحتلال الروماني ونذكر على سبيل المثال لا الحصر مستوطنة (كيرتا) التي وضعت تحت حماية معبودة "العفة والشرف-Colonia Iulia Cirta Juvenalis Honoris et Virtutis "، كما أنها دلتنا على النعوت التي أضيفت إلى اسمها في ظل هذا الاحتلال(77).

ولا تمدنا المسكوكات فقط بتاريخ مصور لبعض الجوانب من تاريخ هذه المدن على مرّ عصورها، بل إننا نستدل من التوزيع الجغرافي لأماكن اكتشفاها على حقائق مفيدة تؤكد على تبعيتها الإدارية والسياسية، كما أن العثور على مجموعة من النقود القرطاجية، والإيطالية، والغالية، والإسبانية، ونقود بعض مدن الجزائر القديمة ، إلى جانب النقود التي ضربت باسم القناصلة، والأباطرة الرومان خلال خضوع هذه المدن للاحتلال الروماني في أماكن متفرقة منها ، ينهض دليلا على وجود حركة تجارية نشيطة(78).

4- المعطيات الأثرية:

يشتمل هذا النوع من الشواهد المادية على ثلاث أنواع أساسية كشفت عنها أعمال التنقيب الأثري التي أنجزت بمدن وأرياف الجزائر القديمة ، إذ ضم الصنف الأول لقى صناعية كثيرة ومتنوعة سواء تلك المجلوبة من الخارج والتي لها فائدتها من حيث أنها تدلنا على السلع المستوردة، أو تلك المنتجة محليا وبخاصة الصناعة الحجرية، إلى جانب الصناعة الفخارية والمعدنية، والعاجية، هذه المخلفات التي أثارت انتباه بعض علماء الآثار منذ عمليات التنقيب الأولى، فخصّوها في تقاريرهم بدراسة وصفية تدعمها في بعض الحالات وثائق إضافية مجسدة كالرسوم، والصور مثل أعمال "دوبريج- A.Debruge " و"برثي –A.Berthier" (79) وغيرهما ، وذلك بخلاف المخلفات الصناعية التي ترجع إلى فترة الاحتلال

الروماني التي أشير إليها بصفة مختصرة، كما أنها لم تحظ بوصف، سواء تلك التي نقلت إلى المتاحف، أو تلك التي ردمت في موقع اكتشافها.

ويتمثل النوع الثاني من هذه البقايا الأثرية في اللوحات الفسيفسائية، التي لها أهمية كبرى في تغطية جوانب اجتماعية، واقتصادية مهمة لم تشملها المصادر المادية السابقة، بحيث تدلنا هذه الأخيرة التي عثر عليها بأحياء متفرقة من مدن وأرياف الجزائر القديمة - بطريقة غير مباشرة - على وجود فئة ثرية بها، كما يستخلص منها رواج حرفة صناعة الفسيفساء إحدى مظاهر الأنشطة الاقتصادية المهمة بالمدن والأرياف في ظل الاحتلال الروماني، وغيرها من الحرف كالصيد البري، وتجارة الحيوانات المفترسة، دون أن ننسى مساهمتها في بعض الأحيان في تسليط الضوء على بعض المعبودات الرومانية التي أقبل على اعتناقها سكان المنطقة(80).

ويضم النوع الثالث المخلفات المعمارية التي اكتشفها علماء الآثار وبخاصة مقابر فجر التاريخ مثل الجثوات، والمصاطب، زيادة على مقابر الفترة النوميدية، وغيرها من المباني المنسوبة لهذه الحقبة مثل الأحياء السكنية ، إلى جانب بقايا المنشآت التي شيدت خلال فترة الاحتلال الروماني، كأسوأر المدن وقلاعها، وأقواس النصر، وبقايا الجسور، والخزانات، والأنابيب، والقنوات الناقلة للمياه، والمعابد، والمقابر على وجه الخصوص(81).

هذا و يفرض علينا التصور الذي عرضناه سابقا والمتعلق بالمفهوم الذي أردناه لتاريخ الجزائر القديم الذي يتسم بالامتداد في المجال والزمان، أن نعتمد على مصادر جديدة تخرج غالبا عن نطاق هذه المصادر المألوفة، وتشمل علوما جديدة مساعدة لعلم التاريخ لا محيد للباحث في هذه المرحلة عنها مثل الدراسات المهتمة بالمناخ القديم (Paléoclimat)، والدراسات الباليونتروبولوجية (Paléoanthropologie) التي تهتم بالإنسان القديم وتطوره وتنقلاته وسلوكياته ، وكل ما يرتبط من لغة وثقافة وعقائد، و الدراسات البالينولوجية (Palénopologie) التي تهتم بدراسة المستويات الأركيولوجية من خلال بقايا المستحاثات النباتية التي يمكن من خلالها دراسة المناخ والبيئة القديمة ، وفك لغز نشوء ظهور الزراعة واستئناس الحيوانات، وما يترتب عن ذلك من تطور للإنسان بالمنطقة، إلى جانب الدراسات الباليونتولوجية (Paléoanthologie) التي تهتم – هي الأخرى - بدورها بدراسة المستويات الأثرية من خلال بقايا المستحثات الحيوانية والتي تمكن بدورها من دراسة البيئة والمناخ ، كما قد تسلط الضوء على طبيعة العلاقة التي ربطت الحيوان ببيئته ومن ضمنها الإنسان، دون أن الدراسات المختصة بالفن الصخري التي تعكس طرق التفكير الثقافي و الاجتماعي والاقتصادي لإنسان ما قبل التاريخ وفجره(82).

نشير في ختام عرضنا لمجمل المصادر المادية ذات الصلة بتاريخ الجزائر القديم ، أنه إذا ما كنا نتفق مع الدراسات الحديثة التي تجمع على اعتبار هذا النوع من المصادر أساسيا لملأ الفراغ الناتج عن نقص المصادر الأدبية أو محدوديتها، إلا أنه من واجبنا التذكير ولو بإيجاز بسلسلة من الملاحظات المنهجية، وبعض الصعوبات التي تواجه الباحث المختص مع هذا الصنف من المصادر عموما، ومصادر فترة فجر التاريخ، والحقبة النوميدية على وجه الخصوص.

إذ يصطدم الدارس لتاريخ الحضارة المادية لأرياف ومدن تاريخ الجزائر القديم خلال مرحلة العصر الحجري الحديث وحتى نهاية الفترة النوميدية، والتي تعد من أهم مراحل ومظاهر التواصل الحضاري الباكر بهذه المنطقة ، بإشكالية كبيرة تتمثل في صعوبة إسناد تواريخ دقيقة لمدافن فجر التاريخ كالمصاطب، والجثوات ، إلى جانب الفخار المحلي النموذجي، والمزين الذي كشفت عنه التنقيبات الأثرية في المواقع المنسوبة للعصر الحجري الحديث ، إذ أنه لم يصنف تصنيفا كرونولوجيا حتى وقتنا الحاضر يسمح لنا باعتماده كمقياس للتأريخ لظهور المدن.

ولا تقل الصعوبة التي تصادف المختص عند محاولة دراسة هذه الحقبة، عن تلك التي تعترضه عند دراسة تاريخ الأرياف والمدن النوميدية، هذه الصعوبات التي يمكن إرجاعها بالدرجة الأولى إلى نقص المصادر المادية ذات الصلة بهذه الحقبة التي تقتصر على بعض المعالم العمرانية وكالمعابد والأحياء السكنية وبصفة خاصة المقابر إلى جانب بعض نصب وأجزاء نصب بونية، وبونية حديثة ومحدودية المعطيات التي يمكن استخلاصها منها ، بينما تكمن الإشكالية الثانية في صعوبة تحديد انتمائية هذه المخلفات – على قلتها –وذلك بسب التشابه الكبير بينها وبين المعالم الفينيقية القرطاجية ، لا من حيث الفن المعماري فحسب، بل أيضا من حيث المواد المستعملة في بنائها، مما لا يساعد على التمييز بينها، خاصة وأنها لا تحتوي على نقوش تزين أبوابها، أو جدرانها، كما أن الصعوبات التي تواجهنا لدى دراسة هذه المعالم تعترضنا أيضا لدى دراستنا للقبور التي يصعب إسناد تواريخ محددة لها، بسبب تطابقها مع المدافن الفينيقية سواء كان ذلك التطابق من حيث طرق الدفن أو من حيث الأثاث الجنائزي.

ولا تقل هذه الصعوبة التي تصادف الباحث عند اعتماده على الفخار وبقية اللقى الأثرية العاجية والمعدنية عن تلك التي تواجهه مع المصادر السابقة، بسبب صعوبة تحقيبها وبخاصة الفخار المحلي المزين من نوع " تيديس" الذي تواصلت صناعته، واستعماله منذ العصر الحجري الحديث وحتى الفترة النوميدية، كما أنه بالرغم من العثور على ذلك الكم الهائل من الفخار المستورد البوني، ثم الإغريقي، والإيطالي المكتشف في مختلف مواقع المدن الجزائرية القديمة ، والمعد لنقل أنواع مختلفة من البضائع، والذي يدل على وجود مبادلات تجارية نشيطة، غير أن معرفتنا بجوانب كثيرة من تاريخ هذه المبادلات لا يزال محدودا، وبخاصة ما يتعلق بنوعية البضائع المتبادلة، وتحديد الخطوط التجارية، وبتنظيم عملية التبادل (بيد من كانت هذه التجارة ؟ كيف كان يتم تمويلها؟).

يضاف إلى هذه الصعوبات تلك المرتبطة بالنصب البونية، والبونية الحديثة التي تتميز بطابعها الرتيب الذي يكاد يقتصر في أغلب الأحيان على ذكر أسماء المعبودات التي قدم لها النذر متبوعة باسم صاحبه ونسبه، ثم عبارة الاختتام التي يمكن تعريبها كالتالي(المعبود) سمع صوته (قوله) وباركه، وهي عبارة لا نجدها في كل النصوص هذا من جهة، ومن جهة ثانية، بسبب طبيعة اللغة التي كتبت بها، ذلك أنها لغة سامية تكتب بدون رسم الحركات، وهو ما يعطي هامشا كبيرا لتأويلها من قبل المختصين، ونذكر على سبيل المثال ما هو حاصل في وقتنا الراهن بالنسبة لنقيشة (دوقة) المزدوجة البونية الليبية المكتشفة سنة 1904م، والتي ظلت إلى وقت طويل مصدرنا الرئيسي، الذي نعتمد عليه في إبراز جوانب مهمة من تاريخ المملكة النوميدية، وبخاصة ما يتعلق بشجرة نسب الملك "ماسينيسا-Massinissa" التي تنتهي عند جدّه الشفط "زيلالس-Zilalsan"، وبتشييد معبده بـ(دوقة) سنة 139ق.م من طرف ابنه (مكيبسا-Micipsa)، إلى جانب تلك المعلومات المرتبطة بالتنظيم الإداري بمدن مملكة نوميدية بما فيها (كيرتا) عاصمة هذه المملكة، غير أن هذه السنوات الأخيرة عرفت ظهور دراسة جديدة للباحث السوري المختص في اللغات السامية "محمد بهجت القبيسي "تدعو إلى مراجعة ترجمة هذه النقيشة التي قدمها "شابو-A.Chabot"، والتي اعتمدتها الكثير من الدراسات الحديثة والمعاصرة حتى وقتنا الحاضر (83).

يضاف إلى ذلك، أن فكّ رموز هذه اللغة، وفهم ما تيسّر من معانيها، يعتمد على المقارنات، والمقاربات مع لغات سامية أخرى كاللغة العبرية القديمة، ومن هنا يصطدم الدارس لهذا الجانب من الحضارة النوميدية بعجز الدراسات الحديثة التي تناولت هذا الموضوع منذ القرن الماضي وإلى وقتنا الراهن - عن ترجمة الكثير من الوظائف التي نقشت على هذه النصب مثل ألفاظ "ب ت ر -PTR"، و" س و ي ت-SWYT"، و" ر و ت-RWT"، و"م ت رم-MTRM"، و"ل ك ه- LQ H"، و"ه ن ن م ك -HN'NMQ"، إلى جانب تباين أراءهم حول معنى الكثير من الألفاظ والعبارات الواردة في النصب،

وبخاصة ما يتعلق بالرتب والوظائف العسكرية مثل وظيفة "رب م س ت ر ت -RB MSTRT" وغيرها من الوظائف ، بل وحتى حول مدلول بعض المواقع الجغرافية مثل مواقع "ب ل ت – B LT"، و"س ق ن– S G N"، وغيرها من العبارات التي لها علاقة بعبادة أشهر المعبودات الفينيقية القرطاجية بمملكة نوميديا مثل "بعل حامونBaal Hammon-"، والمعبودة "تانيت-Tanit(84).

يضاف إلى هذه الملاحظات، عدم تحلى بعض المختصين في مجال الدراسات البونية بالدقة، مثل "بارتراندي-F.Bertrandy"، و"سيزنكر-M.Sznycer" اللذان لم ينسخا النصب البونية والبونية الحديثة 135 التي اكتشفها "لازار كوستا-L.Costa" فيما بين سنة 1855–1877م والمحفوظة اليوم بمتحف اللوفر بـ(باريس)، بلغتها الأصلية، وإنما اكتفيا بتدوينها باللغة اللاتينية في مؤلفهما السابق الذكر. هذا دون أن ننسى عملية نقل بعض النقوش على غرار المخلفات المعمارية ذات الصلة بتاريخ المدن وأرياف الجزائرية في ظل الاحتلال الروماني من مكانها الأصلي إلى مكان آخر، مما لا يسمح بتحديد أماكنها الحقيقية.

أما فيما يخص المسكوكات النوميدية وبخاصة تلك التي ضربت باسم المدن ، فهناك إشكالان حقيقيان يطرحان حولها ، يرتبط الأول بالناحية الكرونولوجية لأن هذه النقود غير مؤرخة، ويتعلق الثاني بجهلنا التام بالعوامل التي ساهمت في ظهور هذا النوع من العملة.

ويرتبط الإشكال الآخر بطبيعة هذه المصادر المادية الصامتة، التي يستوجب استنطاقها حذرا شديدا، وموضوعية فائقة، وهو ما يقودنا إلى ضرورة تجنب "التجني" على اللقى الأثرية، وذلك بإطلاق استنتاجات اعتباطية لا تجد سندا تاريخيا قويا يدعمها، من قبل بعض الباحثين المشهود لهم بالكفاءة العلمية نذكر من بينهم على سبل المثال لا الحصر "دوبريج-A.Debruge" الذي لم يتردد في استخدام لفظة "الغربية" عند تصنيفه لبعض الأدوات المنتجة محليا، وبصفة خاصة السهام التي تختلف عن أدوات ذلك العصر بالرغم من أنها تعكس إبداعا جديدا بهذا الخصوص، كما أنه ينسب أصول بعض المخلفات الصناعية المكتشفة ببعض مواقع مدينة قسنطينة للحضارات العصور الحجرية الأوربية(85) مثل الحضارة "الأورقناسية–Aurignacian" (86) والسولترية-Soulutrian"(87) اللتان ظهرتا خلال العصر الحجري القديم الأعلى بـ(فرنسا)، على الرغم من أنه يعتقد أن الحضـارة الأولى أصلها من شمال إفريقيا وأنها انتقلت إلى (أوربا)(88).

يضاف إلى ذلك تحقيب الباحث الفرنسي " فرنسوا بارتراندي- F.Bertrandy" للفخار المحلي من طراز "تيديس" المكتشف في موقع (كهف الحمام) الأثري بقسنطينة ، الذي يرجع إلى العصر الحجري الحديث، بتاريخ لا يتجاوز 300 أو 200 سنة ق.م، وهو الذي يرقي بحسب "غزال-St.Gsell" إلى4000 ق.م(89) إلى جانب استشهاد الأثري الفرنسي"برثي-A.Berthier" بالمصادر الأثرية المكتشفة بموقع الحفرة بقسنطينة من نصب نذرية، وقطع فخارية ذات صلة بتاريخ (كيرتا) عاصمة المملكة النوميدية التي لا يتجاوز تاريخها في أحسن الأحوال القرن الثالث قبل الميلادي، للبث في الأصلي الفينيقي لها(90)- وهي بنظري آراء متجاوزة - لأن أدلتها غير منسجمة مع المنهج العلمي المتعارف عليه لدى كل المختصين، لأنه لا يمكن توظيف شواهد مادية مرتبطة بالفترة النوميدية، وبفترة التأثيرات الفينيقية القرطاجية لتأكيد على الهوية الفينيقية للمدينة، ولنفي الأصول المحلية لها، كما أن هذه الملاحظة تنطبق على جوانب كثيرة من تاريخ مدننا العتيقة ، وبخاصة ما يتعلق ببعض الجوانب الدينية ذات الصلة بترتيب المعبودات الوثنية التي أقبل على اعتناقها سكان المستوطنات والأرياف في ظل الاحتلال الروماني، والتي تعودت جل الدراسات، وذلك منذ دراسة "شارل فار-Ch.Vars" و"مارسال لوقلاي - M.Leglay"، و"أندري برثي-A.Berthier"(91) على تصنيفها إلى مجموعتين، مجموعة أولى تشمل

كبار المعبودات، يعتلي هرمها الثلاثي المقدس المعبود "جوبيتر-Jupiter"، و"جونو-Juno"، و"مينرفا-Minerva"، ومجموعة ثانية تضم صغار المعبودات، وهو ما يتنافى – بنظرنا - مع المعطيات التي استخلصناها من النقوش موضع الدراسة المرتبطة على الأقل بمستوطنة كيرتا (92) مثلما هو موضح في الشكل رقم 1.

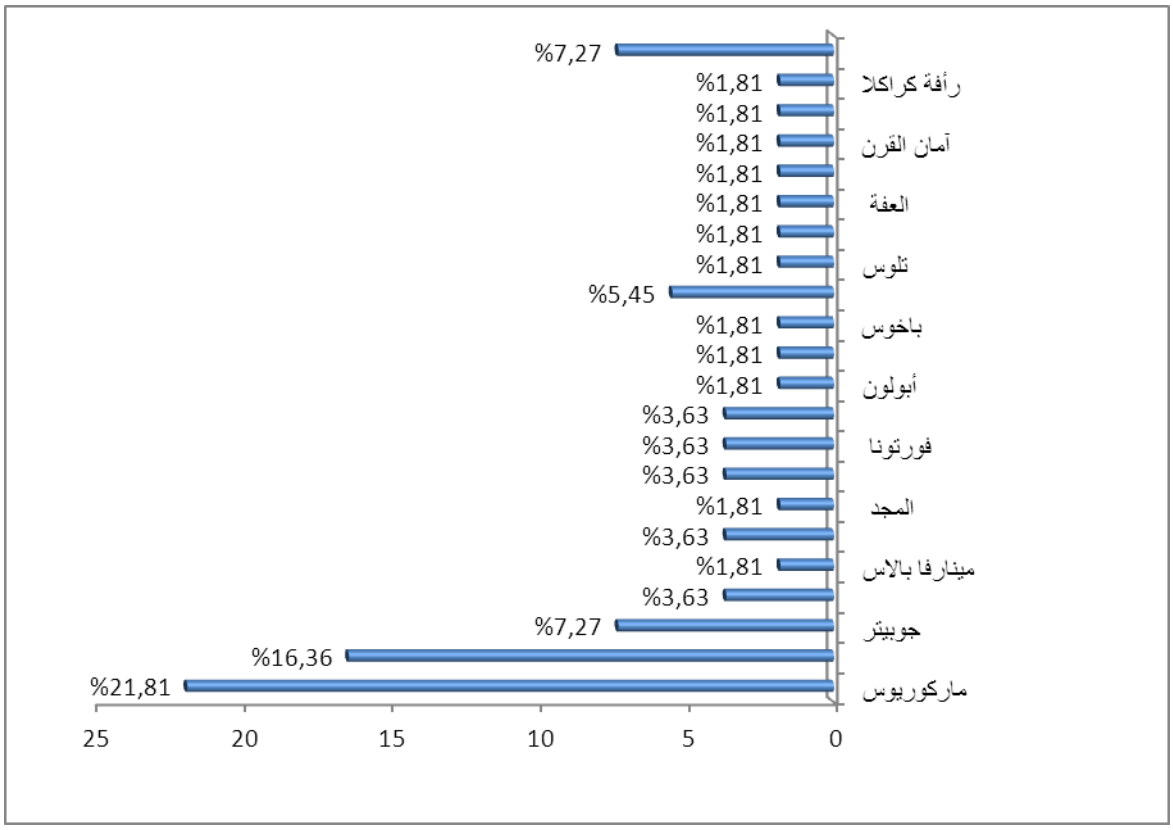

الشكل رقم 1: المعبودات الرومانية بمستوطنة كيرتا الرومانية من خلال النقوش.

خاتمة :

وهكذا يتضح أن تاريخنا الوطني القديم الذي كتب خلال الحقبة الكولونيالية بحاجة إلى إعادة النظر فيه، لكونه كتب انطلاقا من التأثيرات الخارجية دونما مراعاة للتأثيرات المحلية في تدوينه ،كما أنه انطبع بتأويلات تنم عن روح العصر الذي كتب فيه ، إلى جانب أن مجاله وتحقيبه هو أكبر بكثير من ذلك الذي حشرته بداخله الكتابات الاستعمارية.

الهوامش:

1 - نقلا عن وبتصرف ، المبكر(م)، شمال إفريقيا القديم، حركة الدوارين وعلاقتها بالدوناتية 305 – 429 م. الدار البيضاء، دار النجاح الجديدة 2001، ص 15.

2 - شنيتي (م.ب)، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، الجزائر، دار الحكمة ، 2003 ، ص 7.

3 - نفسه، ص 7-8.

4- نفسه، ص 8.

5- نفسه ، ص 15.

6 - أكدت الدراسات المختصة في العصر الحجري القديم أن حضارة الحصى هي أقدم حضارة إنسانية وجدت حتى وقتنا الحاضر ، وهي معاصرة للإنسان "الأوسترالوبيتكوس "الذي عثر علي بقاياه في شرق إفريقيا وجنوبها (جنوب إفريقيا ، تشاد ، أثيوبيا ، تنزانيا)، ويرجع آخر اكتشاف في هذا المجال إلى إنسان طوماي بـ(تشاد) الذي يرجع تاريخه إلى7 ملايين سنة، ويعني اسم "طوماي" في اللغة المحلية الأمل في الحياة بينما يعرف علميا "Sahelanthropus tchadensis"، ويرجع هذا الاكتشاف للباحث الفرنسي "ميشال بروني" الأستاذ بجامعة (بواتي) الذي قاد فرقة بحث فرنسية تشادية في الصحراء التشادية، وتم نشر المعلومات المرتبطة بهذا الاكتشاف لأول مرة في المجلة العلمية الدولية " الطبيعة " في عددها 11 الصادر في سنة 2002 م . حليمة غازي بن ميس، الحسن

بودرقا ،" تاريخ شمال إفريقيا رؤية منهجية "، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا وحضارته ، الرباط ، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر ،2007،ص 13

[7] -Camps(G), Recherches récentes sur le Paléolithique inférieur des Hautes-Plaines constantinoises, Libyca,Antropologie-Prehistorique-Ethnographie,(=L.A.P.E),12,1964,23,pp25-26,p29.

[8] -Chaid – Saoudi (Y), Geraads(D),Raynal(J.P) , La faune du site pléistocène inferieur de Mansoura (Constantine ,Algérie) et l'industrie lithique, comptes rendus Pal vol 5,2006,pp964-965.

9- حليمة غازي بن ميس، الحسن بودرقا، المرجع السابق ، ص 14.

[10]-Debruges(A),La grotte des Pigeons à Constantine, Recueil des noties de la société archéologique de département de Constantine(= R.S.A.C),49,1915,p22 ; Joleaud(L),Notice géologique et Paléontologique sur la La grotte des Pigeons(Constantine),50,1916,pp29-32.

[11]-Marcais(G), Notice sur les poteries dans la grotte des Piégeons à Constantine,R.S.A.C,50,1916,p24.

[12] -Debruges(A),op.cit,p16.

13 – ينظر هوامش هذا المقال رقم 34 -54 .

14- بوعيزم (ع) ، سيغا (Siga) تاكمبريت ، عاصمة الملك صيفاقس، مجلة عصور، العدد 21 ، 2013 م ، ص 17.

[15]- العميم (م)، إشكالية أصل المدينة بشمال إفريقيا، ندوة المدينة في تاريخ المغرب العربي، 24 - 26 نوفمبر 1988. الدار البيضاء ، منشورات كلية الآداب ابن أمسيك، 1990م ، ص 63، بنحيون (م) ، حول تأسيس المدن بالمغرب القديم ، التاريخ القديم ، قضايا وآراء، الدار البيضاء ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، 2005 ، ص 44.

16 - Berthier(A), La Numidie Rome Et le Maghreb. Paris, Piccard,1981,pp159-199.

17_ Justinus, Histoire universelle, XIX,2-4 ,traduction par Rierrol (j) et Biotard(E). Paris, Panckouck 1833.

18- Gsell(St),Histoire ancienne de l'Afrique du Nord (= H.A.A.N),T4,réimpression de l'édition 1921 – 1928,Germany,Otto Vonzeller Verlagosnabruck ,1972,T5,pp152-155 ; Berthier(A),op.cit,pp163-164.

19- Laplace (G), Découverte d'un gisement à galets taillés (Pebble culture) dans le Quaternaire ancien de Mansourah , Bulletin de la Société préhistorique française (= B.S.P.F), 53, 1956, pp 215 – 216.

20- Debruges(A),, La grotte des Ours ,R.S.A.C, 43,1908,Id, La grotte des Mouflon à Constantine, XXXVIII congres de l'Association française pour l'avancement des sciences.Lille,1909 , Id, La grotte des Pigeons à Constantine, R.S.A.C, 49, 1915 , Id, La grotte des Pigeons à Constantine,R.S.A.C,50 ,1916.

21- Camps(G),op.cit, pp 21-29.

22- Bosco (J) , Toponymie phénicienne , R.S.A.C,51,1917- 1918,p 201.

23- Berthier(A),Un collège de Mercure à Cirta,R.S.A.C,65,1942, pp31-33, Id, Le culte de Mercure à Cirta,R.S.A.C,65,1942,pp131-140 ;Id, Découverte à Constantine de deux sépultures contenant des amphores grecques,pp23 – 32;Id,Notes sur un filtre romain découvert à Constantine, R.S.A.C,71 ,1969 -1971, pp173-178; Id,Une mosaïque solaire à Constantine, dans Mélanges Carcopino. Paris, Hachette 1966,pp113 – 124 ; Ibid,104 Congrès des sociétés savantes. Bordeaux, 1979,pp87-97 ; Id, Un quartier d'habitat punique à Constantine, Antiquités Africaines (= Ant.Af), 16 ,1980, pp 13-26 ;Id, La Numidie Rome Et le Maghreb,pp159-199.

24- Cherbonneau(A), Constantine et ses antiquités, R.S.A.C, 1,1853, p109; Id, Inscriptions latines découvertes dans la province de Constantine depuis 1858,R.S.A.C,4 1858-1859,p157.

25- Vars(Ch) , Recherches archéologiques sur Cirta,R.S.A.C,29,1894,pp281-536; Id, Constantine , ses monuments ,son administration, ses magistrat .Paris ,Ernest Thorin éditeur, Constantine, Adolphe Braham imprimeur editeur,1895.

26- غانم(م .ص)، سيرتا النوميدية، النشأة والتطور. الجزائر، دار الهدى، 2008، ص 90 .

27- Berthier(A), Découverte à Constantine de deux sépultures contenant des amphores greques,p24 ; Ouled Tahar(M), L'hellénisme dans le royaume numide au II [eme] siecle avant J.C,Ant.Af,40-41,2004 – 2005,p 34.

28- Gsell(St),H.A.A.N,T6, p214-215 ; Berthier(A), Goossens(R),Constqntine.Toulouse,impremerie du sud,1965,p16.

29- Berthier(A), Charlier (R), Le sanctuaire punique d'El Hofra à Constantine. Paris, arts et métiers graphiques, 1955; Sznycer(M) ,Bertrandy(F), Les stèles puniques de Constantine, Paris, éditions de la Réunion des musées nationaux ,1987.

30- نقلا عن وبتصرف حليمة غازي بن ميس، الحسن بودرقا، المرجع السابق، ص 12، ص ص 16 -17 .

31 – نفسه ، ص 16.

32 _ نفسه ، ص 17 .

33 - بورونية (ش)، الطاهر(م)، قرطاجة البونية. تونس، مركز النشر الجامعي،1999، ص ص 15-16 ، ص 22.

34 - هيرودوتوس – Herodutus(484–420 ق.م): ورد كتابه " التاريخ -Historia" في تسعة أجزاء ، خصص الأربعة الأولى منها للشعوب غير الإغريقية وبخاصة منها الفارسية ، وأهم ما يعنينا في هذا المؤلف هو معلوماته المتعلقة ببلاد المغرب الواردة في الكتاب الرابع ، والتي تطرق فيها للحملات الفارسية على شرق لوبا خلال حكم الملك داريوس ، إذ أنه قدم معلومات تهم منطقة (قورينة) والاستيطان الإغريقي بها، ثم استعرض

عن طريق الرواية خصائص منطقة السرت الصغير والكبير وظهيرهما ، و ذكر عددا من القبائل مبرزا نمط عيشها وتقاليدها ، كما تطرق للوبيين بالقسم الساحلي من (بيزاكيوم –Byzacium) وجزيرتي جربة وقرقنة ، كما اهتم في الكتاب السابع بأولى المجابهات بين القرطاجيين والإغريق بصقلية سنة 480 ق.م. بورونية (ش)، الطاهر(م)،المرجع السابق ، ص ص 26 -27،
Herodutus, Histoire , texte établi et traduit par Legrand (Ph.E).Paris,Les belles lettres,1945.

35 - بوليبيوس(Polybius) (200 – 120 ق.م) يعتبر مؤلفه " التاريخ الروماني-Historiae " المكتوب بالإغريقية أوثق مصدر عن تاريخ الجمهورية الرومانية منذ أوائل الحرب البونية الثانية حتى منتصف القرن الثاني ، حيث تطرق فيه للمراحل الأولى من تاريخ الجمهورية الرومانية مستعرضا علاقاتها بالدولة القرطاجية والمعاهدات، ثم الحرب الأولى بينهما ، كما اهتم بالحرب الثالثة وسقوط قرطاجة ، خاصة وأنه عاين حصارها في سنته الأخيرة ، حيث كان برفقة القنصل "سكيبيو – Scipio الإيميلي قائد القوات الرومانية ، ويعتبر بوليبيوس مصدرا رئيسيا في دراسة الحرب البونية الأولى وانعكاساتها ، ويبقى المصدر الرئيسي لدراسة حرب المرتزقة ، كما نعتمده في دراسة الحرب البونية الثانية ومؤسسات قرطاجة ونظامها السياسي ، فهو مكمل لأرسطو من هذه الوجهة ، وقد برز صدى دراسته للحرب البونية الثالثة في مؤلفات لاحقيه وخاصة " أبيانوس " ، حيث لم يبق من الأربعين كتابا من تاريخ بوليبيوس سوى الكتب الخمسة الأولى ، وبقيت مقاطع هامة من الكتاب السادس إلى الثامن عشر ، لكن من الكتاب التاسع عشر لا نحتفظ إلا بمقاطع محدودة.

Polybius,Histoire romaine,texte traduit et présenté et annoté par Roussel (D) Bruges-Belgique,Gallimard,1970,
أحمد علي(ع)، مصادر التاريخ الروماني، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،1980، ص ص55 -57، بورونية (ش)، الطاهر(م)، المرجع السابق، ص 27 -30

36 - بلوتارخيوس- Plutarchus"(46 – 120 م)**:** لا غناء عنه في دراسة التاريخ الإغريقي الروماني نظرا لتنوع مؤلفاته وغزارتها ، وفي هذا الصدد يعتبر مؤلفه " التراجم – Vitae" من أهم مؤلفاته من الناحية التاريخية وتشمل سير بعض القادة والساسة الإغريق والرومان ، وفيها يسرد المؤلف سيرة عظيم إغريقي متبوعة بسيرة عظيم روماني مشابهة لها ، ثم يعقد مقارنة بينهما وقد وصلنا منها 23 مقابلة مزدوجة وأربع تراجم منفردة . أحمد علي(ع)، المرجع السابق، ص ص 62 -63،

Plutarque,Les vies des hommes illustres, texte traduit par Richard. Paris, Le Fevre,1838.

ديودروس (Diodorus de Sicile) (90 – 20ق.م أو80 -30 ق.م)**:** ألف هذا المؤرخ الإغريقي تاريخا جامعا عنونه " المكتبة التاريخية 37- الصقلي

-Bibloithéké" في أربعين كتابا ، يبدأ بالحضارات الأولى وينتهي بحملة يوليوس قيصر على غاليا - Gallia سنة 59 ق.م ، وبقي من تاريخ ديودرس خمسة عشرا كتابا ومقتطفات من بعض الكتب التي اندثرت لدى مؤلفين لاحقين. ويمدنا هذا المصدر بمعلومات عن حضور قرطاجة بصقلية وعلاقتها بالإغريق وخاصة سراقوسة في فترة حكم الطاغية أغاتوكليس وحملته على قرطاجة سنة 310ق.م
Diodorus Siculus , Loeb classical Library.Translated by Walton(F.R) and Geer(R.M).Cambridge -Massachusetts Harvard university press,1967 ; أحمد المرجع السابق، ص ص 60 -61 ، بورونية (ش)، الطاهر(م)، المرجع السابق، ص ص31 -32 على (ع)

38- أبيانوسAppianus (95 -165م):كتب بالإغريقية مؤلف يحمل عنوان " التاريخ الروماني - Romaika" في 24 كتابا لم يصلنا منها كاملة إلا تسعة ، تناول فيه تاريخ التوسعات الرومانية في أربعة وعشرين كتابا منذ بداية حكم الإمبراطور فسباسيانوس Vespasianus 69 م ونشر حوالي 160 م ، وقد ورد تاريخ هذا المؤرخ في شكل كتب مصنفة حسب المناطق الجغرافية والشعوب التي شملها التوسع الروماني ، بقيت من هذا المصدر تسعة كتب كاملة ، وفي الكتابين المخصصين للوبيا وشبه الجزيرة الإيبيرية ، استعرض المؤلف حيثيات الحرب البونية الثانية في إيبيريا ومعطيات تهم مملكة نوميديا وقرطاجة خلال القرن الثاني قبل الميلاد ، لذلك نجد في كتاب "أبيانوس" ما فقد في تاريخ بوليبيوس وتيتيوس لفيوس.
أحمد علي(ع)، المرجع السابق، ص 63، بورونية (ش)، الطاهر(م)، المرجع السابق، ص ص33 -34،

Appianus , Histoire romaine, édition traduit par Goukouwsky(D),Gaillard(E). Paris, C.U.F, 1997-2011 .

39 - ديو كاسيوسDio Cassius Cocceianus (155-230م)**:** المشهور خطأ باسم ديون ، كتب تاريخ روما أثناء حكم الأسرة السيفيرية عارضا فيه ترجمة لحنبعل.وبعض الأحداث المتعلقة بتاريخ مملكة (نوميديا) و (موريطانيا) وبخاصة أثناء الحرب الأهلية الرومانية (46-49 ق.م).
أحمد علي(ع)، المرجع السابق، ص ص 65-68.

Dion Cassius, Histoire romaine, texte traduit et annoté par Auberger(J).Paris, Les belles lettres,1995 .

40 - كريسبوس سالستيوس (C.Crispus Sallustius)(86 -34 ق.م): كان ينتمي هذا المؤرخ إلى أسرة من العامة ، ويناصر " الحزب الديمقراطي- Populares" ويؤيد " يوليوس قيصر -Iulius Caesar " شغل عد مناصب في الإدارة الرومانية كتولية في سنة 46 ق.م منصب بروقنصل على مقاطعة إفريقيا الجديدة ، وأهم مؤلفاته التاريخية "حرب يوغرطة – Bellum Iugurthinum"(111 -105 ق.م) ، وهو كتاب نشر في سنة 41ق.م ويحتوي على مقدمة فلسفية ، ثم عرض لسيرة الملك "يوغرطة" واستيلائه على السلطة في مملكة نوميديا، كما كتب مؤلف آخر بعنوان " التاريخ - Historiae" ، تناول فيه الفترة من 78 -67 ق.م ولم يصلنا منه سوى فقرات ، زيادة على مؤلفه "رسائل إلى قيصر في دستور الدولة – Epistulae ad Caeseram Senem de republica " ويلاحظ على هذا المؤرخ من خلال هذا المؤلف أنه لا يقوم بدور المؤرخ فقط ، بل بدور الكاتب السياسي الذي يحاول الدفاع عن سياسة وزعماء الحزب الديمقراطي كما أنه يقوم بالكشف عن فساد رجال " الحزب الأرستقراطي - Optimates " ، ومما يعاب على كتاباته عدم مراعاة التسلسل الزمني للحوادث ، وعدم دقة معلوماته الجغرافية، غير أنه يعتبر فريدا بين

المؤرخين الرومان الذين وصلتنا مؤلفاتهم في عزوفه عن طريقة الحوليات وإقباله على كتابة بحث مطول في موضوع واحد. أحمد علي(ع)، المرجع السابق، ص ص13- 15.

Sallustius, La conjuration de Catilina, La guerre de Jugurtha, fragments des histoires ,texte établi et traduit par Ernout(A).Paris, Les belles lettres,1989 .

41 - يوليوس قيصر(101- 44ق.م): لا يعتبر "يوليوس قيصر – C.Iulius Caesar" مؤرخا بالمعنى الدقيق للكلمة، وهو أبرز شخصية سياسية وعسكرية في منتصف القرن الأول قبل الميلاد ، وقد كتب طائفتين من المذكرات ذات صلة بحملته عن بلاد المغرب ، أولهما " مذكرات عن الحرب الأهلية – Commentarii de Bello Civili " تقع في ثلاث كتب تتناول الحوادث التي وقعت خلال عامين (من جانفي 49 – نوفمبر 48 ق.م) كان الغرض من كتابتها يبرز فيها أمام الرأي العام الروماني تبريرا سياسيا لحربه ضد " بومبيوس– Pompeius " وأنصاره وإلقاء التبعة عليهم ، أما مؤلفه الثاني الذي يعتقد أنه لم يكتب بقلمه وإنما بقلم أحد جنوده فهو " الحرب الإفريقية – Bellum Africum" الذي يتحدث فيه عن هزيمة أتباع "بومبيوس_Pompeius " ومن ضمنهم الملك النوميدي " يوبا الأول – Iuba I" في معركة (تابسوس - Thapsus) رأس ديماس الحالية الواقعة بالتراب التونسي في أفريل سنة 46 ق.م. عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق، ص ص21 -22،

Caesar, La guerre d'Afrique, texte etabli et traduit par Bouvet(A).Paris, Les belles lettres,1949, Id, La guerre d'Afrique, texte établi et traduit par Bouvet(A),corrigé et commenté par Richard(J.C). Paris,Les belles lettres,1997, Id, La guerre civile, texte établi et traduit par Bouvet(A).Paris, Les belles lettres,1997.

42 - تيتيوس لفيوس (Titius Livius) (59- 17 ق.م) : ألف في سنة 25 ق.م تاريخا جامعا لروما منذ نشأتها حتى السنة التاسعة قبل الميلاد (Abe ube condita libri) في مائة واثنين وأربعين كتابا بقي منها خمسة وثلاثون ومقتطفات من بقية الكتب ، واحتفظ بالبعض منها في صيغة مختصرات ، ويمثل تاريخ تيتيوس لفيوس أهم مصادر المعاهدات القرطاجية – الرومانية وبصفة خاصة الحرب البونية الثانية التي أرخ لها في تسعة كتب (من الكتاب 21 - 30) ، واستعرض أحداث الحرب البونية الأولى والتوسع القرطاجي في شبه الجزيرة الإيبيرية في ثنايا الكتب الممتدة من 16 – 20 ، أما المعلومات التي تخص الحرب البونية الثالثة فهي تقع في الكتاب التاسع والأربعين.

أحمد علي(ع)، المرجع السابق، ص ص 15- 16، بورونية (ش)، الطاهر(م)، المرجع السابق، ص ص32 -33،

Titus Livius, Histoire romaine, texte traduit par Lassère(E). Paris,Garnier,1928.

43 - جوستينوس (Justinus) القرن الثاني ميلادي **:** هو مؤرخ لاتيني يرجح أنه عاش خلال القرن الثاني ، وكتب في فترة حكم الأسرة الأنطونينية ، قام بتلخيص التاريخ العالمي في مؤلف حمل هذا العنوان، ولم ينل التلخيص والإيجاز من أهمية هذا المصدر الذي يمدنا بالرواية الأكثر اكتمالا لتأسيس قرطاجة وبداية التوسع القرطاجي في فترة حكم القادة الماغونيين ، وينطبق الأمر على بقية العناصر التي تهم تاريخ قرطاجة وهي التي تتضمن مقارنة بين تاريخ الإغريق والقرطاجيين في غرب البحر الأبيض المتوسط، غير أن لم يخصص حيزا للحروب البونية. بورونية (ش)، الطاهر(م)، المرجع السابق، ص34،
Justinus, Histoire universelle, traduction par Rierrol (j) et Biotard(E). Paris, Panckouck 1833

44 - كورنليوس نيبوس (Cornillius Nepos)(100- 24 ق.م أو 99 -20 ق.م): يعتبر من أوائل المهتمين بأدب التراجم من بين المؤرخين اللاتين، ألف تاريخا جامعا في ثلاثة كتب وتراجم للمؤرخين الإغريق القدامى إلا أنها مفقودة تماما مثل أغلب الكتب الستة عشر من المصدر الذي يعنينا وهو (سير المشاهير- De Viris (Illustribus) الذي بقي منها الكتاب الثالث مكتملا ، وقد خصصه المؤلف لسير القادة المتميزين في الأمم الأجنبية، وتحديدا أشهر قادة الإغريق وملوك الفرس ومقدونيا وخلفاء الإسكندر ، إضافة إلى ترجمة لعبد ملقرط البرقي وابنه حنبعل ، وقد أفرد له حيزا هاما وقدمه في صورة إيجابية ، تختلف عن تلك التي نجدها لدى غيره من المؤرخين. أحمد علي(ع)، المرجع السابق، ص23.

45 - فليوس باتركوليوس – C.Vellius Paterculus"(30 ق.م-30م): وضع " موجزا في التاريخ الروماني – Copendium Historiae Romanae" في كتابين ، ولم يصلنا من الأول الذي يعاج الفترة من تأسيس روما إلى عام 146ق.م سوى قدر ضئيل ، أما الكتاب الثاني الذي يستعرض تاريخ الفترة من 146 ق.م إلى 30م ، ويعتبر كتابه أجود مختصر للتاريخ الروماني ، ويمدنا بمعلومات قيمة وبخاصة عن تاريخ المستوطنات الرومانية وتاريخ المقاطعات. أحمد علي(ع)، المرجع السابق، ص23.

46- "أوتروبيوس – Eutropius ": الذي عاش خلال عصر الإمبراطور جوليانوس المرتد (354- 363م) ونشر مؤلفا بعنوان " الموجز منذ تأسيس المدينة – Breviarium ab urbe Cindita" في عشرة كتب، وبعد أن يستعرض تاريخ روما منذ روموليوس ، يتناول الحرب الأهلية بين "سيلا -Sulla " و"ماريوسMarius-" ومصرع قيصر. أحمد علي(ع)، المرجع السابق، ص24.

47- فلوروس- Florus": الذي يرجح أنه عاش حتى عصر الإمبراطور " هارديانوس - Hardianus " فأهم مؤلفاته "مجمل كل الحروب خلال 700 عام – Epitome Bellorum Omnium Annorum DCC" ، ويعنى الكاتب في هذا التاريخ الروماني بمختصر الحروب حتى عصر الإمبراطور " كايوس أكتافيوس أغسطس". أحمد علي(ع)، المرجع السابق، ص24،

Florus, Abrégé de l'histoire romaine,texte établi et traduit par Jal(P).Paris, Les belles lettres,1967.

48– سليوس إيتاليكوس (Silius italicus) (26 – 101م): الذي قدم صياغة شعرية للحروب البونية اعتمادا على تاريخ تيتيوس لفيوس ، غير أن توظيفه للخيال الشعري في النص التاريخي دفعه إلى الجمع بين قادة الحرب والآلهة ، ونظر إلى تأثره بالشاعر فرجيليوس فقد عمد إلى محاكاة أسلوبه. بورونية (ش)، الطاهر(م)، المرجع السابق، ص35 ، Silius Italicus , Les guerres puniques , Traduction en français publiée sous la direction de Nisard (M). Paris,
Dubochet , 1837.

49- أنيوس لوكانوس M.Annaeus Lucanus (39 – 65 م): كان كاتبا غزير الإنتاج غير أنه لم يصلنا من كل مؤلفاته سوى ملحمة "الحرب الأهلية – Bellum Civile" المشهور خطأ باسم " فرساليا- Pharsalia " وتقع في عشر كتب، الأخير منها غير كامل، وتبدأ باستعراض أسباب الحرب بين " قيصر" و"بومبونيوس" وتتابع قصة الصراع إلى ما بعد وفاة هذا الأخير. أحمد علي(ع) ،المرجع السابق، ص 52 ،

Lucain, La guerre civile (La pharsale) , texte établi et traduit par Bourgery (A). Paris, Les Belles Lettres ,1947.

50-Cicero,Interrogatio in Vatinium,V,12,texte revue et traduit par Borneque(E).Paris,Garnier ,1945 ; أحمد علي(ع) ،المرجع السابق، ص ص 17 -21

51- فارو (M.Terentius Varro)(116 -27م): يعتبر من أعظم علماء الرومان في عصره ، وقد انحاز إلى "بومبيوس" ثم وقع أسيرا في يد قيصر في إسبانيا سنة 49 م أثناء الحرب الأهلية ، وصفح عنه قيصر وعينه أمينا لأول مكتبة عامة في (روما)، كان "فارو" واسع الاطلاع وغزير الإنتاج فكتب في مختلف فروع المعرفة كالنحو والمنطق والبلاغة والهندسة والحساب والفلك والموسيقى فضلا عن الطب والعمارة ، والجغرافيا والأدب والتاريخ ويعتبر مؤلفه "في الشؤون الريفية أو العقار الزراعي –de Re Rustica" أي الفلاحة وكل ما يتصل بهما، ويقع في ثلاث كتب وصلت إلينا كاملة ، إلى جانب مؤلف كاتو " في الزراعة - de Re Rustica " الذي يعد مصدرا رئيسيا لمعرفة طرق إدارة " الضياع الكبرى – Latifundia"في (إيطاليا) وسير العمل فيها خلال العصر الجمهوري، بينما كتب بوليو فيتروفيوس - Vitruvius Pollio (27 ق.م -14 م) بحثا بعنوان " في العمارة - de Architectura" ومع أن هذا المؤلف عاش خلال عهد الإمبراطور " كايوس أكتافيوس أغسطس – Caius Octavius Augustus " ،إلا أنه لا يشير في بحثه إلى المباني الهامة التي شيدت في زمن هذا العاهل ، ولكنه يعالج موضوعه على ضوء منشأت العصر الهيلينستي، وينقسم بحثه إلى عشر كتب تبحث في تخطيط المدن والفن المعماري بوجه عام ومؤهلات المهندس المعماري ومواد البناء والمعابد و المنشآت الأخرى للمدينة والمنازل السكنية وتبليط الأرض وتبيض الجدران ومد أنابيب المياه وغيرها من المواضيع. أحمد علي(ع) ،المرجع السابق، ص26 -27 ، ص ص 31 -32.

Vitruve, De l'architecture.Paris, Errance,1999 .

52 - بلينيوس سيكوندوس" C.Plinius Secundus " (23 – 79 م): كان بلينيوس مقربا من الإمبراطور فاسباسيانوس- Vespasianus " ، وهو عالم موسوعي تناول في مؤلفاته التي ضاعت العلوم العسكرية والتاريخ والتعليم واللغة ، ولم يبق لنا من مؤلفاته البالغ عددها 102 مؤلف سوى موسوعة "التاريخ الطبيعي – Nuturalis Historia" التي تقع في 37 كتابا، وتبحث في علوم عديدة كجغرافيا والسلالات البشرية ووظائف الأعضاء وعلوم الحيوان والنبات والصيدلة والمعادن والتعدين. أحمد علي(ع) ،المرجع السابق، ص27 -28 ،

Plinius,Histoire naturelle,T5, texte établi, traduit et commenté par Desanges (G).Paris,Les belles lettres,1980.

53 - " ثيودوزيوس ماكروبيوس – Ambrosius Theodosius Macrobius **"(القرن الرابع ميلادي)**: كان ينحدر من أصل إفريقي ، ويعتقد أنه عين حاكما على مقاطعة إفريقيا سنة 399 م ، كان علامة عزير المعرفة واسع الثقافة ، فكتب في شتى الموضوعات ، وأشهر مؤلفاته موسوعة "ساتورناليا - Saturnalia " التي لم تصلنا كاملة تقع في سبع كتب، نهو عبارة عن أحاديث في شكل محاورات جرت على مائدة أحد الأشراف الرومان في "عيد الإله ساتورنوس-Saturnalia" المقامة في 17 ديسمبر من كل عام ، تتناول كل ما يتصل بهذه العبادة وغيرها من المواضيع المتصلة بالديانة الوثنية الرومانية فضلا عن تشعب مواضيعها الحافلة بالمعلومات القيمة للباحث اللغوي والمؤرخ وبالطرائف والنوادر. أحمد علي(ع) ،المرجع السابق، ص28-30.

54– Strabon,Géographie de Strabon,XVII ,3,7, texte établi et traduit par Laudenbach(B) commenté par Desanges (J).Paris,Les belle lettres ,2014.

55- Ptolemaei , Geographia , IV,3,6-7,traduit par C.Muller, Paris, 1901.

56- Tertullianus, Apologeticum,7, 2 ; 9-10, texte établi et traduit par Waltzing(J.P avec la collaboration de Albert Serveryns,2eme Edition. Paris, Les belles lettres,1961.

57- Cyprianus, Ad donatum, I,XII, Patrologie latine (=P.L),T IV. Paris, édition Migne,1844.

58- Optat, De Shismate donatistarum, P.L,T X.Paris édition Migne,1845.

59- Augustinus,La Cité de dieu , XX,II, traduction de Gabriel Vidal. Alger, éditions Baunet,1930 ; Id, Confession ,I,13,22; I,16,26, traduction de L.Mondadou,Paris,1982 ; Id , Les lettres , Lettre 199 ,traduites en français et précédées d'une introduction par M.Poujoula. Paris, Librairie liturgique – catholique ,1858; Id, Contra Cresconium grammaticum patris donati, P.L ,TXLIII. Paris ,édition Migne,1845 ; Id, Contra litteras Petiliani,I,1,1, I,21,23,II,99,228 , P.L,T XLIII.Paris, édition Migne,1845.

60 - لم يصلنا من كتابات الدوناتيين إلا بعض المقتطفات نذكر من بينها مراسلات الأسقفين الدوناتيين لـ(كيرتا)، وهما "كريسكونيوس-Cresconius"، و"بيتليلنوس-Petilianus" اللذان وردت بعض آراءهما في مؤلفين للقديس "أغسطينوس-Augustinus"، أولها الرد على "كريسكونيوس النحوي والدوناتي- Contra Cresconium grammaticum et donatistam libri quattuor" الذي ضم أربعة كتب ألفها حوالي سنة 405 – 406م، أما الثاني فهو مؤلفه الرد على رسائل بيتليلنوس " Contra litteras Petiliani libri tres" الذي اشتمل على ثلاث كتب.
منصوري (خ)، المرجع السابق، ص ص 5 -6 .

61- Cyprianus, Ad donatum ,I,XII.

62- نذكر على سبيل المثال لا الحصر ، القرار الذي أصدرته السلطات المحلية بمستوطنة (كيرتا) بتاريخ الرابع من سبتمبر سنة 259م والمعروف بمحضر تحقيق القدسين "جاك-Jaques"، و"ماريانوس-Marianus" الذي نص على إلقاء القبض بعض العناصر المسيحية، واقتيادهم إلى سجن (لمبـاز-Lambaese) تازولت حاليا، حيث أصـدر بحقهم حاكم

مقاطعة نوميديا بتـاريخ 6 ماي مرسوما يقضي بإعدامهم ، يضاف إلى هذا المحضر، محضرين آخرين للتحقيق، يعرف أولهما بمحضر تحقيق "موناتيوس فيليكس-Acta Munatii Felicis" الذي أصدره "كيراطور المدينة "موناتيوس فيلكس Munatius Felix –" بتاريخ 19 ماي سنة 303م، والقاضي بمصادرة الكتب المقدسة وأملاك كنيسة المدينة، والملاحق التابعة لها، وتفتيش منازل القراء والعاملين بها، في حين يعرف المحضر الثاني بمحضر التحقيق "زينو فيلوس- Gesta apud Zenophilus"، وهو التحقيق الذي أجري في مدينة (تاموقادي– Thamugadi) تمقاد حاليا، أمام حاكم نوميديا "زينو فيلوس-Zenophilus" إثر الشكوى التي تقدم بها الشماس "نوندينايوس-Nundinianus" ضد الأسقف الدوناتي لمستوطنة (كيرتا) "سلفانوس-Silvanus"، يتهمه فيها بتسليمه للكتب المقدسة التي كانت موجودة بكنيسة المدينة في سنة 303م .

Actes de Saints Jaques et Marien ,9,édition Ruinard, Acta primorum martyrum .Paris, 1689,pp227-230 ; Acta Munati Felicis, Gesta apud Zenophilum, appendix d'Optat, Corpus Scriptorum ecclesiasticorum latinarum (= C.S.E.L) ,TXXVI, édition Ziwsa,Vienne,1893, p116-117, p186.

63- منصوري(خ)، الدوناتية وثروات القرن الرابع في شمال إفريقيا، رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ ، جامعة وهران، 1986 - 1987 ، ص 9 ، ص 79.

64- Concile de Carthage,2d.Hartel,Vienne, 1868,p411n8.

65- Optat,1,13,14, P.L, col 910-915 ; Augustinus ,Contra Cresconium,III,27-31, P.L, XLIII,col511-512.

66- Augustinus, Brevicus collationis cum donatistis. Paris, P.L, TXLIII, édition Migne, 1845.

67- Codex Theodosianus (= C.Th).éditions Th.Mommsen et P.Meyer ,2édition,Berlin,1954.

68- Codex Justinianus(=C.J).Recognovit, édition Paulaus kruger Berolini apud weidmannos, 1888.

69- مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد. الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985، أبو عبيد الله البكري، كتاب المسالك والممالك، ج 2، تحقيق فان ليوفن وأندري فيري، قرطاج (تونس)،الدار العربية للكتاب – بيت الحكمة، 1992م، الشريف الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983 ، الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية. بيروت، دار الغرب الإسلامي، الرباط، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، 1983.

70 - يعتبر مؤلف "الكتب البونية- Libri Punica" للملك النوميدي "همبصال الثاني- Hiempsal II"(88- 50 ق.م) ومؤلف كتاب "ليبيكا - Libyca" لحفيده الملك "يوبا الثاني– Iuba II(25 ق.م- 23 م) المدون بالإغريقية، النموذج الأمثل لظاهرة فقدان المؤلفات المحلية، إذ أننا لا نعرف إلا ما نقله "سالستيوس-Sallustius"
عن صاحب المؤلف الأول من معلومات للتعريف بأصل شعوب (بلاد المغرب القديم) في كتابه "حرب يوغرطة"، وما وصلنا من معلومات عن المؤلف الثاني من خلال "بلينيوس القديم -Plinius" في كتابه "التاريخ الطبيعي".

Sallustius, XVII,7 ; Gsell(St), Juba II ,Savant et Historien, Revue Africaine (= R.Af), 68 ,1927, pp168; Désanges(J) ,L'hellénisme dans le royaume protégé de Maurétanie 25 avant J.C- 40 après J.C,B.C.T.H.S (=Bulletin du comité des travaux historiques et scientifiques),20-21,1989, p54.

71-أسمهر(م) ، أهمية الفن الصخري في كتابة تاريخ المغرب القديم وحضارته، أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا القديم وحضارته. الرباط، مكتبة السلام ،2007م ص159 .

72 - بورونية (ش)، الطاهر(م)، المرجع السابق، ص 16، ص37 .

73- نقلا عن وبتصرف بورونية (ش)، الطاهر(م)، المرجع السابق، ص42.

74-Sznycer(M) ,Bertrandy(F), Les stèles puniques de Constantine, Paris, éditions de la Réunion des musées nationaux ,1987.

75- Corpus Inscriptionum Latinarum(=C.I.L), TVIII,(inscriptions africae proconsularis et Numidae comprehendens) ,édition de Willmans (M) et Mommsen(Th).Berlin, 1881, Inscriptions latines de l'Algérie (= I.L.Alg),T2 (de la Confédération Cirtéenne, de Cuicul et de la tribu de des Suburbures),recueillies par St.Gsell, préparées par E.Albertini et J.Zeiller, ubliées par H.G Pflaum sous la direction de L.Leshi.Paris,1957 ; Année épigraphique (= AE).

76 - نقلا عن وبتصرف أحمد علي(ع) ،المرجع السابق، ص109.

77- Muller(L), Numismatique de l'ancienne Afrique, T2, Paris , 1862 ; Charrier(L), Numismatique africaine,Sittius,R.S.A.C,30,1895-1896,pp310-311; Id, description des monnaies de la Numidie et de la Maurétanie. Paris Macon, 1912; Troussel(M), Le Trésor monétaire de Tiddis, R.S.A.C, 66, 1948, pp129-176, Id , Le cheval, animal solaire, R.S.A.C, 68, 1953, p 121-174;Id L'énigme de la tête laurée et barbue à G. et du cheval galopant à gauche, R.S.A.C, 69, 1955-1956, pp 3-56 ; Mazard(J), Corpus Nummorum Numedae Mauretanaeque. Paris , Arts et métiers graphiques , 1955.

78- Gsell(St), H.A.A.N, T5, p 274 , T6,p80; Mazard(J),op.cit,pp25 -26; Berthier(A),Charlier(A), op.cit,pp229 - 230 ; Berthier (A) Un habitat punique à Constantine, Antiquités Africaines (=Ant.Af) ,16 ,1981 , p25.

79-Debruge(A), Fouille de la grotte Ali Bacha ,A.F.A.S. Montauban,1902 ; Id,Compte –rendu des fouilles faites en 1904.Tumulus du Pic des Singes, R.S.A.C, 39,1905 ; Id, La station quaternaire Ali – Bacha à Bougé , R.S.A.C,40,1906 ; Id, La grotte des Ours ,R.S.A.C, 43,1908 ; Id, La grotte des Mouflon à Constantine, XXXVIII congres de l'Association française pour l'avancement des sciences.Lille,1909.

80- Delamare(A), Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840 – 1845 .Paris , Imprimerie nationale,1850,pl139 –146 ; Alquier(P) ,Chronique archéologique 1928 – 1929 , Constantine , Mosaïque découverte rue National (6 février), R.S.A.C,59,1928-1929, pp401-405; Gsell(St), Lecture d'une note de Mme

Alquier sur la Mosaïque découverte à Constantine le 6 février 1928 ,Bulletin archéologiques du comité des travaux historiques (=B.A.C) ,1928-1929,pp96 -99 ; Berthier(A),La mosaïque de Sidi M'cid(Constantine), les conditions de sa découverte et son milieu archéologique ,Actes du 104 congrès national des sociétés savantes .Bordeaux,1979,pp87-89.

81 -Gsell(St), Atlas archéologique de l'Algérie Paris ,A.Jourdin, 1911.

82- نقلا عن وبتصرف حليمة غازي بن ميس، الحسن بودرقا، المرجع السابق ، ص ص 19 -21.

83- قبيسي (م.ب)، حضارة واحدة أم حضارات في الوطن القديم . دمشق ، دار طلاس ودار الشمال ، 2008 ، ص ص68 -89.

84- Berthier(A), Charlier (R),op.cit,p24n9,p84n103,pp90-92n111-n112,n115.

85-Debruge (A), La grotte des Mouflon à Constantine , pp817-819; Id, La station préhistorique du Djebel – Ouach (prés de Constantine), R.S.A.C,46,1912, p223.

86- امتدت هذه الحضارة من حوالي 28000 - 22000ق.م وهي تنسب إلى كهف (أوريقناس – Aurginace) بفرنسا. ينظر: زكريا رجب (ع)، عصور ما قبل التاريخ في العالم القديم. الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ،2008م، ص45.

87- يرجع تاريخ هذه الحضارة إلى الفترة الممتدة من حوالي 18000 - 15000 ق.م، ويعتقد أن الوطن الأصلي لها إقليم وسط أوروبا وبخاصة المجر والبلغاريا. ينظر : زكريا رجب (ع)، المرجع السابق ، ص 46.

88- نفسه، ص 45.

89- Bertandy(F), Cirta , Encyclopédie Berbère ,XIII . Aix-en Province, Edisud , 1994,p1965,

Gsell(St) , H.A.A.N, T1,p350.

90-Berthier(A), La Numidie,Rome et le Maghreb , pp159-177.

91- Le glay(M), Saturne Africain T 2 (Monuments) (=S.A.M).Paris,C.N.R.S,1966,pp 22-23; Vars (Ch), Recherches,pp423-488,pp497- 510 ; Berthier(A),Goossens(R), op.cit,pp43-24.

92-I.L.Alg,II,n540,n468,n471-481, n482 bis ,n482-487,n489-499,n500-n501,n529 -531,n533-534, n528,n540,n548,n598 ,n569,n626,n674,n678,n682,n686, n701,n708,n709,n805,n808.